الأعلام من الأدباء والشعراء



ديك الجن الحمصي

عبد السلام بن رغبان

عصره وحياته وفنونه الشعرية

إعداد

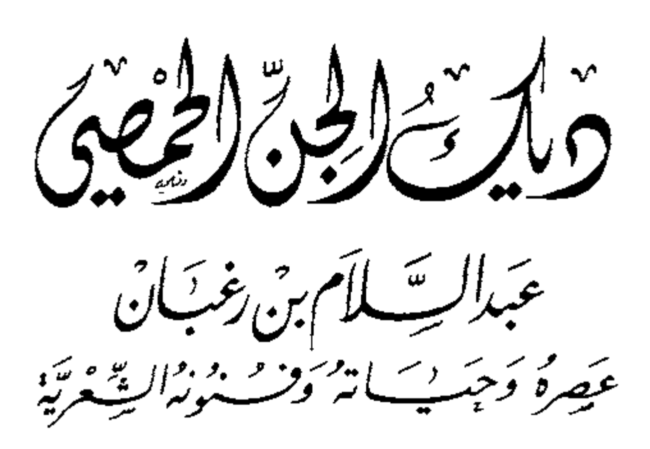
حسن جعفر نور الدين

ماجستير في اللغة العربية وآدابها

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الأعلام من الأدباء والشعراء



إعداد

حسن جعفر نور الدين
ماجستير في اللغة العربية وآدابها

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩٠م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

المقدمة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

وبعد فهذه دراسة شاملة حول عبد السلام بن رغبان أو ديك الجن الحمصي الشاعر العباسي المشهور، وهو باعتراف معظم من كتبوا عنه شاعر مجيد، بلغ صيته الآفاق، رغم أنه لم يخرج مادحاً أحداً ولا متصدياً لأحد بل آثر البقاء في مسقط رأسه حمص لا يبرحها إلا إلى سلمية لمدح الهاشميين الجليلين أحمد بن علي وشقيقه جعفر.

ولقد ضاع معظم شعر ديك الجن، فحرمنا بذلك من ثروة كان يمكن أن تكشف عن مزايا أخرى في شخصية وشعر عبد السلام، حتى اننا نكاد لا نعثر في ديوانه على قصيدة طويلة كما عند سائر الشعراء.

فمعظم أجزاء الديوان مقطوعات صغيرة كثير منها يتألف من بيت واحد أو بيتين أو ثلاثة أبيات، وهذا ما يدفعنا إلى الموافقة على أن جزءاً كبيراً من نتاج الشاعر قد ضاع.

ولقد تصديت بعون الله لدراسة ديك الجن، فتحدثت

عن عصره وحياته وبيئته وسيرته الأدبية، ثم درست فنونه الشعرية بشيء من التفصيل متوخياً بذلك الكشف عن شاعر ملهم ظلم نفسه وظلمه الناس.

ولا ريب في أن عبقريته الشعرية تفتقت عن معانٍ جميلة جليلة، وأن جريمته التي ارتكبها كانت الحد الفاصل بين شريطي حياته، حياة الاستقرار والبهجة وحياة البؤس واليأس والندم والأحزان، وقد خلقت منه شاعراً مغلقاً، إذ رُبَّ سيئة جلبت حسنة.

وفي هذه الدراسة القصيرة لا أدعي أني أحطت بكل شخصية الشاعر، الأدبية والذاتية فالكمال لله وحده وهو نعم المولى ونعم النصير.

العصر والبيئـة

١ ـ عصر الشاعر:

ولد ديك الجن الحمصي وعمر الدولة العباسية ثلاثون عاماً فقط، وكانت حمص مسقط رأسه جزءاً من بلاد الشام التي ظلت مدى حياته تحت مظلة الحكم العباسي. وقد وصل العباسيون إلى الحكم سنة ١٣٢ هـ، موهمين أنهم أحق الناس به، وأنهم ظل الله على الأرض، لذلك أحاطوا أنفسهم بهالة من التقديس، ويتمثل ذلك في أول خطبة لأبي العباس السفاح يوم بويع بالخلافة في مسجد الكوفة سنة ١٣٢ هـ، وفي خطبة لأبي جعفر المنصور يوم عرفة: أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه وخازنه على فيئه، ومعنى ذلك أن الخليفة أصبح السلطة الفعلية والمطلقة في مطلع ذلك العصر.

وكان أبو العباس السفاح أول خليفـة عباسي، تعقب الأمويين حتى كاد يقضي عليهم ويقطع أثرهم من الوجود، وطفق الشعراء ينشدونه القصائد ويحرضونه على ما تبقى من السلالة الأموية، وظل هاجس السلطة سبباً رئيسياً في معظم الصراعات التي نشبت على امتداد تاريخ الدولة العباسية، فقد

غدر السفاح بأبي سلمة الخلال وزير آل محمد، أول وزير في الدولة الجديدة، لما عرف عنه من ميل للعلويين، ومحاولته نقل الخلافة إليهم، ولم يكد يتولى أبو جعفر المنصور سنة ١٣٦ هـ حتى يثور بوجهه في الشام عمه عبد الله بن علي، فيقضي المنصور على هذه الثورة بجيش لجب قاده أبو مسلم الخراساني، ويعطي المنصور لعمه الأمان في أن لا يمسه بسوء ولا يتعرض له بأذى، إلا أنه تنكر لهذا العهد وقتل كاتبه عبد الله بن المقفع متهماً إياه بالزندقة، وما فتىء يمكر بعمه حتى قبض عليه وأودعه السجن حتى مات فيه، ثم يغدر بابن عمه عيسى بن موسى ويلزمه التخلي عن ولاية العهد لابنه المهدي، وأخيراً وليس آخراً فإنه احتال على أبي مسلم الخراساني إذ أخذ يحسن له القدوم إليه ويظهر له الحب والمودة والإكرام ويذكره بعظيم بلائه في سبيل قيام الدولة الجديدة إلى أن استقدمه إلى بلاطه وقتله سنة ١٣٧ هـ. ولما تولى المهدي سنة ١٥٨ هـ أكد ما فعله أبوه من خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد ولما احتج عيسى هدده وتوعده حتى استجاب وأشهد عليه بالخلع وبايع مكانه لولديه الهادي فالرشيد، وقد رمى في السجن وزيره يعقوب بن داود لأنه أطلق علوياً أمره بقتله، وكان للوشاة دور كبير في تأليب الخليفة عليه.

ولما تولى الهادي سنة ١٦٩ هـ حاول منع أمه الخيزران

من التمادي في التدخل بشؤون الخلافة، حتى انه حاول أن يقتلها بالسم ففطنت لذلك، وأوعزت إلى جواريها فقتلنه، خاصة بعد أن رغب في خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد والبيعة لابنه جعفر، وكانت خيزران تحب الرشيد كثيراً وتفضله على غيره.

وتولى الرشيد الخلافة سنة ١٧٠ هـ، وما لبث أن عقد ولاية العهد لأولاده تباعاً، فعقد أولاً لمحمد ولقبه بالأمين سنة ١٧٣ هـ وضم إليه مصر والشام، ثم عقد لابنه عبد الله وسماه المأمون سنة ١٨٣ هـ وضم إليه الولايات الشرقية، ثم لابنه القاسم سنة ١٨٦ هـ وسماه المؤتمن وضم إليه الجزيرة والثغور، وكان هذا الصنيع نذير شؤم وبلاء على مستقبل الدولة العباسية برمتها، ونكب الرشيد البرامكة ونكل بهم سنة ١٨٧ هـ بعد أن كانوا وزراء أبيه ووزراءه وساعده الفتي وركن دولته وأصحاب الفضل عليه، إذ حفظوا له الخلافة بعد أن حاول الهادي تحويلها عنه لابنه جعفر، فنصحه يحيى بن خالد البرمكي بإبقائها للرشيد حفاظاً على وحدة البيت العباسي.

لقد قتل الرشيد البرامكة لأنه خاف على نفسه منهم، بعدما اجتذبوا نظر الناس إليهم لكرمهم وحسن تدبيرهم، وثانياً لأنهم أنقذوا علوياً كان الرشيد قد أمر بتصفيته، وأخيراً استجابة لحاسدهم الفضل بن الربيع.

ولم يكد الرشيد ينتقل إلى جوار ربه حتى شجر الخلاف

بين الأمين والمأمون، إذ أخذ الفضل بن الربيع وزير الأمين يحسن له ويشجعه على خلع أخيه المأمون، ولاقت الفكرة قبولاً في نفس الأمين، فشرع في خدع أخيه باستدعائه إلى بغداد، وترددت المراسلات بينهما حتى كاد المأمون أن يتنازل ويبايع لموسى بن الأمين، إلا أن وزيره الفضل بن سهل منعه من ذلك وضمن له الخلافة وجعلها عهداً في عنقه، وما لبثت العداوة أن اشتدت بين الأخوين ونشبت الحروب الطاحنة فدمرت بغداد وأزيلت معالمها، وكان النصر في النهاية للمأمون فخلص الأمر له بعد أن قتل الأمين سنة ١٩٨ هـ، وهذا يعني غلبة الطابع الفارسي السياسي والإداري على الطابع العربي، إذا كانت أم الأمين عربية وأم المأمون فارسية، لذلك بلغ النفوذ الفارسي أشده آنذاك، رغم أن المأمون حاول الحد منه بقتله الفضل بن سهل، وكان المأمون منذ قتل أخوه يفكر بأمر ولاية العهد حتى أقدم سنة ٢٠١ هـ على خلع أخيه القاسم وتعيين علي بن موسى الرضا الإمام الثامن عند الشيعة الإمامية، وكان لهذا العمل ردة فعل عنيفة لدى العباسيين في العراق، فعزلوا المأمون وعينوا مكانه عمه إبراهيم بن المهدي، ويموت الإمام الرضا فجأة بعنب مسموم، وتختلف الروايات حول قاتله، وسواء أكان المأمون وراء ذلك أم سواه ممن لم يرق لهم ما فعله الخليفة، فإن استشهاد الإمام الرضا وضع حداً لغضب العباسيين عليه، فدخل بغداد وتعقب عمه إبراهيم بن المهدي

حتى قبض عليه ثم عفا عنه، ويجول الشعر جولاته في أتون تلك الأحداث وينقسم الشعراء إلى فريقين.

وبموت المأمون وخلافة المعتصم سنة ٢١٨ هـ ينتهي النفوذ الفارسي، ليبدأ نفوذ آخر يختلف تماماً عن سابقه، فالفرس أصحاب حضارات وثقافات وكانوا في عهد من أشرنا إليهم من الخلفاء أصحاب شأن وسلطان ورجال دولة من الطراز الرفيع، فقد شاركوا في صنع قرارات الدولة بل كانوا من منتجي معظمها، فعلا شأنهم وكبر مقامهم، أما الترك فكانوا بدواً عديمي الحضارة والرقي، ومعنى ذلك أن انقلاباً في الحياة العباسية لا بد أن يحصل ويطال الحقول والميادين كافة، فلما تولى المعتصم الخلافة سنة ٢١٨ هـ جعل الأتراك جند الخلافة وأكثر منهم وبنى لهم مدينة سامراء وجعلها عاصمة الدولة مكان بغداد، وولى أشناس زعيم الأتراك ولاية مصر وأطلق يده فيها، فجنى بذلك على نفسه وعلى غيره الكثير من المتاعب والهموم، ولما تولى الواثق بن المعتصم سنة ٢٢٧ هـ فاق والده في التقرب من الأتراك، إذ ولى أشناس من بغداد إلى أواخر المغرب العربي، واستخلفه على السلطة وألبسه وشاحين وتاجاً من جوهر، وولى إيتاخ التركي خراسان والسند وكور دجلة وأضاف له بوفاة أشناس مرتبته ومعظم أعماله، ومما زاد من نفوذ الأتراك أن الواثق لم يتخذ من بعده ولياً للعهد فاستغلوا هذا الأمر عند وفاته سنة ٢٣٢ هـ وحملوا

رجال الدولة على البيعة للمتوكل، وهذا يعني أن تنصيب الخلفاء أضحى بيد الأتراك، وأن ما حصل نذير شؤم يحمل للمستقبل أسوأ العواقب. ولاحظ المتوكل منذ توليه خطورة ازدياد النفوذ التركي، فقد أصبحوا عبئاً على الدولة ومصدر فتن واضطرابات، فهم يكرهون العرب والفرس، ثم إنهم ليسوا في وفاق مع بعضهم البعض، فهم لا ينقطعون عن الدسائس والمؤامرات، لذلك تخلص المتوكل من إيتاخ وكان قد صار إليه كل أمر، ونصب مكانه قائداً تركياً آخر يدعى وصيفاً محاولاً بذلك بذر الشقاق في ما بينهم، إلا أن المتوكل زاد ضيقه من الترك فهرب منهم إلى دمشق واتخذها مقراً لخلافته دون سامراء وذلك سنة ٢٤٤ هـ، إلا أن الترك هددوه وأعادوه إلى مكانه السابق بعد غياب دام شهرين.

وتعاود فكرة الابتعاد عن الترك المتوكل من جديد، فيبني على مسافة من سامراء قصوراً له ولحاشيته وبطانته صرف عليها مئات الملايين من الدنانير وضم إلى وزيره الفتح بن خاقان اثني عشر ألفاً من الجنود العرب محاولاً إعادة نفوذهم من جديد، ليكبح بهم جماح الأتراك الذين تناهى إليهم كل أمر، وعلموا أن المتوكل يهيىء للفتك بهم، فصمموا على قتله قبل أن ينفذ فيهم مخططاته، وتعاونوا في ذلك مع ابنه المنتصر الذي كان يسخط على والده بسبب انحرافه ومجونه وسياسته الظالمة، ولأنه أراد تقديم ابنه المعتز عليه في ولاية العهد،

وكان يتهدده ويشتمه ويحط من منزلته في مجالسه العامة مما حذا بالمنتصر إلى الدخول عليه مع الأتراك في شوال سنة ٢٤٧ هـ وقتلوه مع وزيره ابن خاقان. وقوي بهذه الحادثة نفوذ الأتراك كثيراً، وصار الخليفة في أيديهم كالدمية، تكفيه من الخلافة السكة والخطبة.

ولقد نشبت في هذا العصر نزاعات سياسية وفكرية ومذهبية واجتماعية، والتحم الصدام العسكري والشعري أيضاً بين سلطة الخلافة العباسية وسائر القوى المعارضة آنذاك. فانتفض العلويون وقاموا بثورات كثيرة وهددوا أكثر من مرة نظام الحكم القائم وكادوا يجهزون عليه. كذلك ثار الخوارج علماً أن حركاتهم ضعفت كثيراً عما كانت عليه خلال عصر بني أمية، ورغم ذلك استطاعوا أن يربكوا السلطة العباسية، ويقلقوها في أكثر من مكان.

أما العلويون، فقد ودعوا العصر الأموي بثورة زيد بن علي وابنه يحيى، ومن ثم كان لهم دور فعال وحاسم في نجاح الثورة العباسية الكبرى سنة ١٣٢ هـ. ولقد ظنوا بادىء الأمر أن هذه الثورة ستحملهم إلى الحكم كونها قامت أساساً بالدعوة للرضا من آل محمد، إلا أن الظروف شاءت أن يجني العباسيون ثماراً زرع بذورها العلويون، فارتقوا سدة الخلافة متجاهلين شركاءهم الفاعلين والأساسيين في الثورة، ولذلك استأنف العلويون نشاطهم السياسي والفكري والعسكري بعد

توقف قصير لم تستطع معه الدولة الجديدة أن تلتقط أنفاسها، ولعل الصراع الديني والأيديولوجي نشأ فور تولي السفاح منصب الخلافة عندما ألقى أول خطبة له من على منبر الكوفة، ثم اتسع نطاقه عبر الرسائل المتبادلة بين الخليفة المنصور وصاحب النفس الزكية، إذ انبرى كل منهما يبين حقه بالخلافة ويورد أدلة يراها كافية لتأكيد شرعية موقفه ورأيه، وغاص الشعراء في خضم هذا الصراع وانقسموا فريقين، والتحموا في معركة شعرية لم يخمد أوارها مدة العصر العباسي، وقد أذكت قصائد الشعراء نار الحرب العسكرية وأضرمتها، إذ لم يجد العلويون إلا السيف وسيلة عملية لتحقيق غايتهم، فلم يكد السفاح يموت ويتولى الخلافة أبو جعفر المنصور حتى خرج بالمدينة محمد بن الحسن صاحب النفس الزكية، وكان يرى أنه أحق بالخلافة من غيره، لأن بني هاشم كانوا قد انتخبوه في نهاية العصر الأموي، وممن بايعه آنذاك المنصور نفسه، ولم تستطع الرسائل المتبادلة بينهما أن تضيق شقة الخلاف لأنه كان عميقاً يستحيل رأبه، فأقدم صاحب النفس الزكية على الثورة العسكرية مدعوماً بتأييد الناس والتفافهم حوله خاصة بعد فتوى أبي حنيفة لهم بجواز الخروج على المنصور والتحرر من بيعتهم له، فاستولى على المدينة المنورة ومكة المكرمة سنة ١٤٥ هـ، إلا أن المنصور واجهه بجيش ضخم وأناط قيادته بابن عمه عيسى بن موسى، ودارت معارك طاحنة بين الفريقين

قتل فيها صاحب النفس الزكية وحمل رأسه إلى المنصور وطيف به في الكوفة وسُيِّر في الآفاق، وما لبث أولاده وإخوته أن تفرقوا في الأمصار يدعون إلى إمامته، فتوجه ابنه علي إلى مصر وقتل فيها وسار ابنه عبد الله إلى خراسان ثم هرب إلى بلاد السند عندما جد أعداؤه في طلبه إلى أن تمكنوا منه هناك، ويمم ابنه الحسن وجهه إلى اليمن فسجن وبقي في سجنه حتى مات، أما أخوه موسى فقد مضى إلى الجزيرة وأخوه يحيى إلى الري فطبرستان، وسار أخوه إدريس إلى المغرب فأخذ يدعو الناس فأجابه خلق كثير، وقد استطاع المنصور أن يغتاله بالسم بواسطة أحد أعوانه، أما أخوه إبراهيم فقد مضى إلى البصرة وأظهر فيها أمره، فأجابه أهل فارس والأهواز في عساكر كثيفة، وقد حشد له المنصور جيشاً كبيراً بقيادة عيسى بن موسى ودارت معارك عنيفة قتل خلالها إبراهيم في مكان يسمى باخمرى قرب الكوفة وقتل معه ٤٠٠ رجل.

وفي زمن الرشيد ثار محمد بن جعفر بن يحيى بن أبي طالب وتوجه إلى مصر، ولما لاحقته السلطات فر إلى المغرب، فاجتمع إليه خلق كثير وأيدوه لما رأوا عليه من سمات الاستقامة والعدل، إلا أن الأمر لم يطل به فمات مسموماً.

وخرج في زمن الرشيد أيضاً يحيى بن عبد الله ومضى إلى بلاد الديلم فالتفوا حوله وأيدوه وبايعوه، ولما اشتد أمره أرسل إليه الرشيد الفضل بن يحيى في خمسين ألف مقاتل،

عارضاً عليه بادىء الأمر الصلح، فرضي يحيى شرط أن يكتب له الرشيد أماناً بخط يده، فكتبه له. إلا أن الرشيد لم يكن وفياً لما تعهد به، فنقض الأمان وغدر بيحيى فقبض عليه وسجنه وما لبث أن قتله بعد ذلك.

أما في خلافة المأمون فقد خرج محمد بن جعفر الصادق في مكة والحجاز وبويع له بالخلافة وسماه الناس أمير المؤمنين، إلا أنه انهزم في معركة مع جيش السلطة العباسية، وظفر به المأمون ثم عفا عنه.

ثم خرج سنة ١٩٩ هـ أبو السرايا بن منصور الشيباني بالعراق ومعه محمد بن إبراهيم بن أبي طالب وقويت شوكته واشتد أمره، فتعقبه حماد الملقب بالكندغوش حتى ظفر به وسلمه إلى الحسن بن سهل الذي قتله ثم صلبه على الجسر ببغداد سنة ٢٠٠ هـ.

وخرج سنة ١٩٩ هـ محمد بن سليمان بن الحسن بن علي وتغلب على المدينة، كما استولى على البصرة كل من علي بن محمد بن جعفر وزيد بن موسى بن جعفر، وثار في اليمن سنة ٢٠٠ هـ إبراهيم بن موسى بن جعفر وفي المدينة ظهر الحسين بن الحسن بن علي بن الحسين المعروف بابن الأفطس ودعا الناس إلى مبايعته والقول بإمامته.

وفي سنة ٢١٩ هـ فر من الكوفة محمد بن القاسم بن

علي بن أبي طالب واتجه إلى خراسان بعد أن نكل به المعتصم وأرهبه، وكان ابن القاسم على جانب كبير من الورع والزهد والعبادة، وانقاد إليه كثير من الناس في خراسان وبايعوه، وكانت له حروب مع جيوش المعتصم أسره فيها عبد الله بن طاهر وحمله إلى الخليفة بسامراء فسجنه واختفى منذ ذلك الحين أمره، وقد أقر بإمامته كثير من الزيدية.

ولما ولي المتوكل سنة ٢٣٢ هـ تفرق العلويون، إذ كان شديد الوطأة عليهم عظيم الكراهية لهم، وقد توج بغضه بهدم قبر الحسين بن علي في كربلاء وحرثه وزرعه.

وأول من ثار في عهد المتوكل محمد بن صالح بن الحسن بن علي بن أبي طالبٍ وكان شجاعاً شاعراً ظريفاً وقد خرج بسويقة سنة ٢٣٦ هـ وهي موضع قرب المدينة يسكنه آل الإمام علي، فأنفذ إليه المتوكل أبا الساج في جيش ضخم، فظفر به وبجماعة من أهله، فأخذهم وقيدهم وقتل بعضهم ثم عمد إلى سويقة فعقر نخلها وخرّب منازلها وحمل محمد بن صالح إلى سامراء حيث سجن مدة من الزمن ثم أطلق سراحه وأقام بها إلى أن مات.

أما الخوارج فقد وقفوا من العباسيين موقف المعارضة الشديدة، فأنكروا حقهم بالخلافة ورأوا فيهم مغتصبين لسلطة لم يخولهم بها الشعب ثم إنهم برأيهم لم يستوفوا شرط العدالة

وهو من أهم الشروط اللازمة في الإمام. لذلك ألزموا أنفسهم بمحاربتهم والخروج عليهم، ومع أن قوة الخوارج العسكرية تقلصت بالنظر إلى ما كانت عليه في عصر بني أمية، إلا أنهم واجهوا العباسيين وحاربوهم بشجاعة وقسوة، فقد خرجوا على حكم أبي العباس السفاح في عمان بقيادة الجلندي سنة ١٣٤ هـ، وسرعان ما قضى خازم بن خزيمة على حركتهم وهزمهم وقتل قائدهم، وبلغت ضحاياهم في هذه الحرب عشرة آلاف قتيل قطعت رؤوسهم وأرسلت إلى السفاح.

ولم يلبث الخوارج أن ثاروا بناحية الجزيرة سنة ١٣٧ هـ في عهد أبي جعفر المنصور، بقيادة ملبد بن حرملة الشيباني، وأوقعوا بجيش المنصور وقائده يزيد المهلبي هزيمة منكرة، وظلوا يهزمون كل قائد يرسل به إليهم المنصور حتى وجه إليهم في نهاية المطاف خازم بن خزيمة في جيش تعداده ٦٠٠ ألف جندي فهزمهم وقتل قائدهم سنة ١٣٨ هـ، كما أنهم ثاروا في المغرب فوجه إليهم المنصور عمر بن حفص فقتلوه واستولوا على القيروان، فانبرى لهم يزيد بن حاتم، وما زال يقاتلهم حتى قضى على ثورتهم بعد أكثر من ٣٧٥ وقعة بينه وبينهم.

وفي عهد المهدي، خرج جماعة منهم بخراسان بزعامة يوسف بن إبراهيم منكراً على المهدي سيرته، فانضم إليه خلق كثير، إلا أن يزيد بن مزيد الشيباني سرعان ما قضى على هذه

الثورة وأسر قائدها وبعثه إلى الخليفة مع وجوه أصحابه فقتلهم وصلبهم سنة ١٦٠ هـ.

وخرج بالجزيرة أيام المهدي سنة ١٦٢ هـ عبد السلام الخارجي، فاشتدت شوكته وكثر أتباعه، إلى أن قضى على حركته عيسى بن موسى وقتله في عدة ممن معه. وفي سنة ١٦٨ هـ خرج بالموصل ياسين التميمي والتحم مع جنود السلطة فهزمهم إلى أن وجه إليه المهدي بعض القادة فقتلوه مع بعض أصحابه، وانهزم الباقون. أما في عهد الرشيد فقد خرج الصحصح الخارجي بالجزيرة سنة ١٧١ هـ وهزم عسكر أبي هريرة والي الجزيرة للعباسيين، فسير إليه الخليفة جيشاً قضى على حركته وقتله بدورين.

وتتابع ثورات الخوارج ولا تكاد تنقضي سنة إلا ويتحركون فيها ضد السلطة، فمن حصين الخارجي بخراسان سنة ١٧٥ هـ إلى الفضل الخارجي سنة ١٧٦ هـ بنواحي نصيبين وكلاهما لقي مصرعه في نهاية الأمر بعد أن أبليا كثيراً وهزما في فترات جيوش السلطة.

وفي سنة ١٧٨ هـ خرج الوليد بن طريف بالجزيرة، ففتك بإبراهيم بن خازم، ثم قويت شوكته فدخل إلى أرمينيّة ثم إلى أذربيجان فحلوان فأرض السواد ثم عبر إلى غربي نهر دجلة وقصد مدينة بلد وعاث في أرض الجزيرة فسير إليه الرشيدُ يزيد الشيباني فقضى على ثورته وقتله بعد معارك عديدة

طاحنة، وقد رثته أخته ليلى بنت طريف بقصيدة رقيقة هاجمت فيها قاتليه وأثنت على بلائه واستبساله.

وفي سنة ١٩١ هـ ثار بناحية حولايا الخارجي ثروان بن سيف وتنقل في السواد فتعقبه طوق بن مالك وهزمه وجرحه وقتل جماعة من أصحابه، إلا أن ثروان عاد فظهر من جديد بطف البصرة سنة ١٩٢ هـ وقاتل عامل الخليفة.

وظلت ثورات الخوارج مستمرة وعلى فترات حتى انقضاء الدولة العباسية، وكانوا يطمحون إلى تأسيس دولة لهم أينما حلوا وأنى وجدوا الفرصة سانحة ومؤاتية، فقد أشغلوا من دون شك سلطة الخلافة وأشعلوا في وجهها الثورات المتلاحقة وإن لم يكن بنفس الحماس والاندفاع الذي كانوا عليه في العصر الأموي. أما الثروة الشعرية فقد كانت ضحلة، ويستحيل أن تمر ثورات من دون أن يكون لها شعراء كثيرون يغذون في أفرادها روح الثورة والتمرد، ولكن لعل الزمن أضاع كثيراً مما نتخيل أن يكون قد وجد.

٢ ـ الحركة العلميــة في عصـر ديك الجـن:

نهض التعليم في العصر العباسي الأول نهضة واسعة، عن طريق الكتاتيب التي كان يتناول الطلاب فيها مبادىء القراءة والكتابة والحساب وبعض سور القرآن الكريم وشيئاً من الأشعار والأمثال، كما كانوا يتعلمون السنن والفرائض والنحو والعروض، وكان للناشئة ألواح مصنوعة من الخشب يكتبون فيها دروسهم، وكان معلموهم يؤدبونهم بالجلد والضرب والحبس، كما كانوا يتقاضون منهم أجوراً زهيدة لا تتجاوز أحياناً بعض أرغفة من الخبز.

وكان إلى جانب هؤلاء معلمون لأبناء الخاصة، منهم اللغوي والإخباري والفقيه والمحدث، وكانوا أحسن حالاً من معلمي أبناء العامة، فمن حظي منهم بتعليم أولاد الخلفاء والوزراء والقواد جنى ثروات طائلة، إذ كانت تفرض لهم رواتب كبيرة جعلتهم يعيشون في رغد وسعة وطمأنينة، ومنهم المفضل الضبي معلم المهدي، والكسائي معلم الرشيد وابنيه الأمين والمأمون، والفراء معلم أبناء المأمون.

واشتهرت البصرة في هذا العصر بسوق باديتها المعروف بالمربد، وكان مُنتدى للفصحاء من الأعراب والأدباء والشعراء يجتمعون فيه فيتحدثون وينشدون، كما استفاد شباب البصرة كثيراً فقوموا ألسنتهم واكتسبوا اللغة العربية الأصيلة.

أما المساجد، فإنها لم تكن بيوتاً للعبادة فقط، بل كانت أيضاً معاهد للتعليم، يحاضر فيها أساتذة متخصصون، وكان لكل فرع من المعرفة حلقته الخاصة، وكانت حلقة الفقهاء من أكبر الحلقات كذلك حلقة المتكلمين، ولم يكن يشترط للحضور في الحلقات كلها أي شرط، وإنما كانت مباحة لأيْ كان، وقد نشأت عن هذه الحلقات ظاهرتان كبيرتان، الظاهرة الأولى تتمثل بكثرة العلماء المتخصصين في كل علم وفن، والثانية هي نشوء طائفة من العلماء والأدباء الموسوعيين، الذين نوعوا معارفهم ومضوا يختلفون إلى جميع الحلقات آخذين بطرف من كل لون من ألوان المعرفة، وكان يطلق على هذه الطائفة في البصرة اسم المسجديين، وقد أغدق الخلفاء ووزراؤهم على أفرادها الأموال الطائلة، كما أنهم لم يحرموا من جوائزهم وعطاياهم الجزيلة طائفة العلماء المتخصصين، مما ساعد على ازدهار الحركة العلمية بالمساجد، كما كان لاستخدام الورق أثر كبير في النهضة العلمية الواسعة آنذاك، فاتسعت صناعة الورق، وأخذ الناس يتنافسون في اقتناء الكتب واتخاذ المكتبات، كما أن الدولة أقدمت على إقامة دار

الحكمة وهي مكتبة كبرى كانت منهلاً عظيماً لطلاب العلم والمعرفة.

ولم تكن الكتب والمساجد وحدها من أسباب ازدهار الحركة العلمية، فقد كان لمجالس الخلفاء والوزراء أثر بعيد في ذلك، إذ تحولت إلى ندوات علمية يتناظر فيها العلماء من كل صنف.

وبشكل عام فقد تغلغلت المعرفة والثقافة في جميع الأوساط حتى أوساط العامة، وبرزت نخبة من العلماء والأدباء قادت الحركتين العلمية والأدبية إلى الشاطىء الأمين.

العلوم اللغوية والتاريخ:

انبرى علماء البصرة والكوفة يجمعون ألفاظ اللغة العربية وأشعارها حتى لا تذوب في لغات الشعوب المستعربة وحتى تسلم لها مقوماتها الأصلية، وقد اشترطوا على أنفسهم ألا يأخذوا اللغة من عربي حضري بل وأن يرحلوا في طلبها إلى البادية ويتقدموا إلى باطن شبه الجزيرة حيث ينابيعها الصافية، مبتغين من وراء ذلك تقويم ألسنتهم والتقاط مادتهم اللغوية الصحيحة.

وقد تعاقبت في هذا العصر ثلاثة أجيال من علماء البصرة والكوفة تجمع اللغة والشعر. وكان أبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ هـ في طليعة الجيل الأول في البصرة وفيه يقول

الجاحظ: كان أعلم الناس بالغريب والعربية وبالقرآن والشعر وبأيام العرب وأيام الناس، كما اشتهر من الجيل الثاني خلف الأحمر المتوفى سنة ١٨٠ هـ والأصمعي ٢١٣ هـ، ويعتبر محمد بن سلام الجمحي صاحب طبقات فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين أهم أفراد الجيل الثالث من لغويي البصرة.

وتصدر الجيل الأول من لغويي الكوفة حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٦ هـ وكان عالماً بالشعر، غير أن رواياته كانت موضع شك لمجونه وفسقه، ويعتبر أبو عمرو الشيباني المتوفى سنة ٢١٣ هـ أشهر أفراد الجيل الثاني في الكوفة، ويقال إنه دخل البادية ومعه إناءان من حبر، فما خرج حتى أفناهما بكتابة سماعه عن العرب الفصحاء.

أما أبو عبيد القاسم بن سلام فهو أهم أفراد الجيل الثالث من لغويي الكوفة، ويقال إن الناس لم يكتبوا في اللغة أصح من كتبه ولا أكثر فائدة.

وإذا انتقلنا إلى النحو وجدنا البصرة تسبق الكوفة إلى وضع قواعده ومصطلحاته، وأول نحاة البصرة عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ هـ وعيسى بن عمر الثقفي سنة ١٤٩ هـ، أما ابن أبي إسحٰق فيقال إنه أول من نهج النحو وشرح العلل، وأما عيسى بن عمر فإنه أول من وضع الكتب في النحو إذ ألف فيه مصنفين هما الإكمال والجامع،

ويقال إن الأخير أصل كتاب سيبويه. ويعتبر الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٥ هـ هو الواضع الحقيقي لعلم النحو في صورته النهائية، بل هو المؤسس الحقيقي لصرح النحو العربي والمقيم لقواعده والمشيد لبنيانه وأركانه.

وخلفه في النحو سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ وقد ألف مصنفه الموسوم باسم (الكتاب) مضيفاً إليه ما يدل على ذكائه وفطنته، والكتاب يعد آية رائعة من آيات العقل العربي حتى سماه بعضهم قرآن النحو، وأهم من تلقى هذا الكتاب عن سيبويه من البصريين الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المتوفى سنة ٢١١ هـ.

وكان في الكوفة طائفة من النحاة، غير أنهم لم يبرعوا براعة البصريين، ولذلك كانوا يرحلون إليهم ويتتلمذون عليهم، حتى إذا تقدم الزمن أخذوا يستقلون عن نظرائهم في البصرة بمذهب نحوي مستقل بحيث أصبح في النحو مذهبان متقابلان: مذهب البصرة الذي يعنى بالقياس مستمداً له من استعمال العرب الشائع، ومذهب الكوفة الذي يعنى بالسماع ويقدمه على القياس مهما كان شاذاً نادراً.

وأقدم نحاة الكوفة أبو جعفر الرواسي وخلفه معاذ بن مسلم المتوفى سنة ١٨٧ هـ، فالكسائي سنة ١٨٩ هـ ثم الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ وكان كأستاذه الكسائي يقدم السماع على القياس.

أما بالنسبة للتاريخ، فإن أول اهتمامات المؤرخين في ذلك العصر كانت تتوجه نحو السيرة النبوية، وقد لمع في هذا النطاق محمد بن إسحق المتوفى سنة ١٥٠ هـ، فألف السيرة ووزعها على ثلاثة أقسام كبيرة هي المبتدا والمبعث والمغازي، إلا أن هذا الكتاب فقد، ووصلتنا رواية مهذبة له رواها عبد الملك بن هشام المتوفى بالفسطاط سنة ٢١٨ هـ.

كما يعتبر محمد بن عمر الواقدي قاضي المأمون والمتوفى سنة ٢٠٧ من المؤرخين الكبار الذي عنوا بكتابة السيرة النبوية وله مصنفات كثيرة في الفتوح وتاريخ الخلفاء وأيام الناس، كما ألف تلميذه وكاتبه محمد بن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ كتابه الطبقات الكبرى وضمنه سيرة مطولة للرسول (ﷺ).

وعني كثير من المؤرخين بالكتابة في أحداث الدولة العربية كما فعل أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي المتوفى سنة ١٥٨ هـ إذ ألَّف كتباً مختلفة في الفتوح وفي حروب صفين، وسيف بن عمر التميمي المتوفى سنة ١٨٠ هـ ونصر بن مزاحم سنة ٢١٢ هـ وقد نشرت له بالقاهرة وقعة صفين.

وصب هشام بن محمد الكلبي عنايته على تاريخ العرب القديم وما يتصل به من أنساب وأيام وأشعار. كما برز من المؤرخين لهذا العصر المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ هـ وكان له

كتاب ضخم في أخبار الخلفاء وآخر في الدولة العباسية وكتب مختلفة في السيرة النبوية وفي الفتوح وأيام الناس، وإلى جانب ذلك أخذت تؤلف في هذا العصر كتب الرجال الذين حملوا الحديث النبوي من صحابة وتابعين على غرار كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، ومثله كتاب معرفة الرجال ليحيى بن معين المتوفى سنة ٢٢٣ هـ. وهكذا نشطت كتابة التاريخ في عصر ديك الجن، فلم تقف عند السيرة النبوية بل اتسعت لتشمل تاريخ العرب في الجاهلية ودولهم في الإسلام وتاريخ الرسل والأنبياء، كما عني بعضهم كابن المقفع وغيره بترجمة الكتب المؤلفة في سير ملوك العجم.

٢ ـ الشعر والشعراء

لعبت النزاعات السياسية والفكرية والدينية والاجتماعية دوراً بارزاً في نمو الشعر وتطوره في العصر العباسي الأول، وهذه النزاعات وما نتج عنها من آثار شعرية رائعة تبين كم كان هذا العصر غنياً بالشعراء الذين تباينت مواقفهم وتعارضت أراؤهم حيال سلطة الخلافة العباسية، وكان لموقف الخلفاء والوزراء الإيجابي والمشجع أثر عظيم الأهمية على تطور الحركة الشعرية ونموها وتنوعها، فقد تقاطر الشعراء على أبواب الخلفاء يتسابقون على اكتساب الجوائز السنية والهبات العظيمة، مما شحذ القرائح وألهب العقول والنفوس، ويعتبر كتاب الأغاني أنفس كتاب وأغنى مصدر في هذا النطاق، فهو يترجم لمئات الشعراء، ويصور طبيعة الحياة العباسية ومظاهرها المتنوعة، وحضارتها وثقافتها.

وهكذا فقد نظم الشعراء العباسيون في معظم فنون الشعر، بل طوروها واستحدثوا أفكاراً جديدة لم تكن مألوفة من قبل.

فعلى صعيد المدح نلاحظ أن الشعراء العباسيين لم

يصوروا في مدائحهم المثالية الخلقية والمثالية السياسية فحسب، بل صوروا الأحداث بما تشتمل عليه من فتن وثورات وحروب، وبذلك قامت قصيدة المديح في هذا العصر مقام الصحافة الحديثة، وكانت قديماً تشتمل على مقدمات تصف الأطلال والصحراء ومشاهد الصيد، وقد استبقى بعض الشعراء العباسيين هذه المقدمات فاتخذوها رمزاً، وتحول البعض الآخر من وصف الصحراء ومسالكها وحيوانها إلى وصف الرياض في الحاضرة ومناظرها الجميلة في الربيع، كما أقدم الشعراء على وصف الخمرة في مقدمات مدائحهم متأثرين بموجة المجون الحادة التي سادت العصر، كما عنوا ببث الحكم في قصائدهم المدحية.

وضعف في العصر العباسي الأول فن النقائض، أما الهجاء، فإنه لم يضعف بسبب التنافس بين الشعراء، وقد عمت فيه روح جديدة، وأصبح الصحيفة التربوية المقابلة للمديح، فالمديح يرسم المثالية الخلقية لهذه التربية، والهجاء يرسم المساوىء الفردية والاجتماعية التي ينبغي أن يتخلص منها المجتمع، وقد كان للمجون والفحش أثر في انتشار فن الهجاء، فكانت تشيع فيه أحياناً روح السخرية المريرة، وأحياناً أخرى روح الفكاهة المضحكة.

وظلت للفخر حيويته القديمة، وإن كان قد ضعف فيه الفخر القبلي، ونشط الشعراء في الرثاء نشاطاً واسعاً، إذ لم

يمت خليفة ولا وزير ولا قائد مشهور إلا وأبنوه تأبيناً رائعاً، وقد صوروا في القواد بطولاتهم الرائعة ومحنة الأمة والجيوش في وفاتهم، ومن ذلك مراثي أبي تمام في محمد بن حميد الطوسي، ومن الأبطال الذين بكاهم الشعراء منصور بن زياد، وقد أبلى بلاء حسناً في القضاء على ثورة بالقيروان، ووافاه القدر، فرثاه عبد الله بن أيوب التميمي بقصيدة بديعة مطلعها:

أما القبور فإنهن أوانس
بجوار قبرك والديار قبور

ولعل بطلاً لم تذرف دموع الشعراء عليه كما ذرفت على يزيد بن مزيد الذي فتك بخوارج الموصل فتكة حاسمة.

وشاع في هذا العصر بكاء الرفاق والأصدقاء، وظهرت ضروب جديدة في الرثاء لم تكن معروفة من قبل، كرثاء المدن، ورثاء الطير الصادح كالقمري والحيوانات المستأنسة، ومن المراثي الجديدة مرثية محمد بن يسير لبستان له عاثت فيه شاة أفلتت لبعض جيرانه، وقد أكثر الشعراء في هذا العصر من العتاب والاعتذار.

ولعل الشاعر العباسي لم يعن بموضوع قديم عنايته بالغزل وتصوير عاطفة الحب الإنسانية.

وشاع الغزل الماجن وبلغ من حدته أن شاع الغزل بالغلمان، ومن المحقق أن الجواري هن اللائي دفعن المجتمع العباسي في بعض جوانبه إلى الفساد الخلقي.

كما ظهر شاعر تخصص بالغزل العفيف واشتهر به وهو العباس بن الأحنف.

وقد اتسعت في هذا العصر موجة المجون، واتسع معها وصف الخمر، وبلغت غايتها في عهد الخليفة الأمين، إذ حول قصر الخلافة إلى مقصف للخمور والمجون، واتخذ أبا نواس نديمه.

وشاع في العصر العباسي الأول شعر الزهد، وكان أكثر اتصالاً بحياة الجماهير من شعر الخمر والمجون.

وإلى جانب هذه الموضوعات القديمة نفذ الشعراء العباسيون إلى تصوير معالم بيئتهم وحضارتهم، فقد أكثروا من وصف الأمطار والسحب والرياض وخاصة في الربيع وعبروا عن مشاعرهم أحياناً خلاف هذا الوصف، وكانوا يحتفظون أحياناً في مقدمات مدائحهم بوصف الصحراء وأحياناً بتركها والانتقال إلى وصف الطبيعة في الحاضرة ببساتينها ورياضها.

ونرى إلى جانب ذلك شعراء كثيرين يعنون بوصف مظاهر الحضارة العباسية المادية وما يتصل بها من الترف في الطعام والتأنق في الملابس والثياب ووصف القصور وما حولها من الجنائن والحدائق، وما يجري فيها من الظباء والغزلان وأكثروا من وصف الحيوان والطير والحشرات، كما وصفوا الأمراض والآفات وصفاً دقيقاً وصوروا العواطف الأخوية

والبنيوية والقرابية وحللوا كثيراً من المشاعر الزوجية، كما تحدثوا عن حياة البؤس والمسغبة التي كان يرزح تحت أثقالها جمهور كبير من أبناء المجتمع.

وكانت مجالس الخلفاء والوزراء تعنى بالنوادر والفكاهات، وهيأ ذلك لشيوع روح الغزل في بعض المقطوعات والقصائد، كما نظم الشعراء أراجيز كثيرة في الصيد سموها الطرديات، واستحدثوا فناً شعرياً جديداً هو الشعر التعليمي الذي دفع إليه رقي الحياة العقلية، ولا ريب في أن أبان بن عبد الحميد هو الذي عمل على إشاعة هذا الفن الشعري الجديد فقد نظم فيه تاريخاً وفقهاً وقصصاً كثيراً، وأهم من ذلك كله أنه نظم في القصص كتاب كليلة ودمنة في أربعة عشر ألف بيت، وعلى هذا المنوال نظم أبو العتاهية مزدوجته التي سماها ذات الأمثال ويقال إنها كانت تبلغ أربعة آلاف بيت، كما نظم محمد بن إبراهيم الفزاري مزدوجة طويلة في علم النجوم تدخل في عشر مجلدات كما يذكر ياقوت الحموي في الجزء السابع عشر من معجم الأدباء.

ودخلت ملامح من هذا الفن التعليمي إلى بيئات الإخباريين، فإذا الأصمعي ينظم قصيدة طويلة في ذكر الملوك والأمم الخالية البائدة، كما عرفت بيئات المتكلمين شيئاً من هذا الفن أيضاً، فقد نظم معدان الشيعي الشميطي أحد متكلمي الشيعة الإمامية قصيدة طويلة في أصناف الشيعة

وعقائدهم، كما أكثر بشر بن المعتمر المعتزلي المشهور من النظم في الرد على أصحاب المقالات والنحل المختلفة.

وغاية القول إن عصر ديك الجن كان غنياً بالشعر والشعراء، فقد ازدهرت معظم فنون الشعر وتطورت، وكانت سجلاً حافلاً للحياة العباسية وما نشأ فيها من نزاعات متنوعة، وهكذا كان الشعر السياسي والشعر المذهبي حتى إن الصراع الفكري والعقلي وجد له شعراء يصورونه خير تصوير.

السيرة الذاتيـة
والسيرة الأدبيـة



السيرة الذاتية

أبو محمد عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن يزيد بن تميم الكلبي الملقب بديك الجن الحمصي. أصله من سلمية ومولده بمدينة حمص سنة ١٦١ هـ وتميم أول من أسلم من أجداده، وكان جده حبيب يتقلد الإعطاء لأبي جعفر المنصور.

تعددت الروايات بشأن لقبه، ومنها أنه لقب بديك الجن لخروجه المستمر إلى البساتين ومعاقرته الخمرة على وجه التشبيه بالدويبة المعروفة بديك الجن التي أتى القزويني على ذكرها في كتابه (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ـ ص: ٤٧٥) فقال: ديك الجن دويبة توجد في البساتين، إذا ألقيت في خمر عتيق حتى تموت ووضعت في فخارة يشد رأسها وتدفن في وسط الدار فإنه لا يرى فيها شيء من الأرضة.

كما يروى أنه لقب بهذا الاسم لقصيدة قالها في رثاء ديك عمير، وكان هذا قد ذبحه وأقام منه مائدة دعا إليها أصدقاءه:

دعـــانـــا أبـــو عمـــرو عمـيـــر بن جـعفـــر
على لحـم ديــك دعــوة بـعــد مــوعــد
فــقــدم ديــكــاً غــد دهــراً ذمــلقــاً
مــؤنس أبــيــات مــؤذن مـــســجــد

ويذكر الزركلي في الأعلام/ج٤/فيقول: سمي بديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوين.

وفي تاج العروس للزبيدي ج٧/ الديك في كلام أهل اليمن الرجل المشفق الرؤوف، ومنه سمي الـديك ديكـاً. والديك أيضاً الربيع في كلامهم كأنه لتلون نباته، فيكون على التشبيه بالديك. وديك الجن لقب عبد السلام بن رغبان الحمصي الشاعر المشهور.

ورغم تعدد هذه الروايات فإن أياً من المؤرخين والأدباء القدماء لم يذكر سبب تلقيب عبد السلام بن رغبـان بديـك الجن.

ومهما يكن فإن عبد السلام نشأ في حمص، ولم يفارق الشام ولا رحل إلى العراق ولا إلى غيره منتجعاً بشعر، ولا متصدياً لأحد، وكان يتشيع تشيعاً حسناً، وله مراث كثيرة في الحسين مشهورة عند الخاص والعام، عاش حياته ماجناً خليعاً عاكفاً على العبث واللهو والقصف متلافاً لما ورثه عن آبائه، وكان له ابن عم يُسمى أبا الطيب يعظه وينهاه عما يفعله، وربما

هجم عليه وعنده قوم من السفهاء والمجان وأهل الخلاعة يستخف بهم وبه.

وعلاقة ديك الجن بالجارية النصرانية ورد هي قصة حياته المشبعة بروح الألم والندم والمرارة، والجارية من أهل حمص وكان قد أحبها فخلبت لبه وأصبحت لا تبارح خياله، حتى غلبت عليه فاشتهر بها، وإذ ذاك دعاها إلى الإسلام فأجابته لعلمها برغبته فيها، وأسلمت على يده فتزوجها وفي ذلك يقول:

أنظر إلى شمس القصور وبدرها
وإلى خزاماها وبهجة زهرها
وردية الوجنات يختبر اسمها
من ريقها من لا يحيط بخبرها
تسقيك كأس مدامة من كفها
وردية ومدامة من ثغرها

وظل الزوجان يتساقيان كؤوس السعادة والهوى حتى ألمت بالشاعر ضائقة مادية واختلت حاله فيمم وجهه نحو سلمية قاصداً أحمد بن علي الهاشمي، فأقام عنده مدة طويلة، ثم إن ابن عمه أبا الطيب أبغضه بعد مودته له بسبب هجائه له، وحمله بغضه على أن أذاع على زوجته ورد أنها تهوى غلاماً له، وقرر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه، وشاع ذلك الخبر حتى أتى عبد السلام، فكتب إلى أحمد بن علي

شعراً يستأذنه في الرجوع إلى حمص ويعلمه ما بلغه من خبر (ورد) من قصيدة مطلعها:

إن ريب الزمان طال انتكاثه
كم رمتني بحادث أحداثه

ومدح أحمد بعد هذا، فأذن له، وفي طريق عودته إلى حمص، قدر ابن عمه وقت قدومه، فأرصد له قوماً يعلمونه بموافاته باب حمص، فلما وافاه، خرج إليه مستقبلاً ومعنفاً على تمسكه بزوجته بعد ما شاع من ذكرها بالفساد، وأشار عليه بطلاقها، وأعلمه أنها قد أحدثت في مغيبه حادثة لا يجمل به معها المقام عليها، ودس الرجل الذي رماها به، وقال له: إذا قدم عبد السلام ودخل منزله فقف على بابه كأنك لم تعلم بقدومه، ونادِ باسم ورد، فإذا قال من أنت، قل: أنا فلان. فلما نزل عبد السلام منزله وألقى ثيابه، سألها عن الخبر وأغلظ عليها، فأجابته جواب من لم يعرف من القصة شيئاً. فبينما هو كذلك إذ قرع الرجل الباب، فقال: من هذا؟ فقال: أنا فلان، فقال لها عبد السلام: يا زانية، زعمت أنك لا تعرفين من هذا الأمر شيئاً، ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها وقال في ذلك:

ليتني لم أكن لعطفك نلت
وإلى ذلك الوصال وصلت

فالذي مني اشتملت عليه
ألعار ما قد عليه اشتملت
لائم لي بجهله ولماذا
أنا وحدي أحببت ثم قتلت

وقال فيها أيضاً:

أيها القلب لا تعد
لهوى البيض ثانيه
خنت سري ولم أخنك
فموتي علانيه

وبلغ السلطان الخبر فطلبه، فخرج إلى دمشق وأقام بها أياماً، وكتب أحمد بن علي الهاشمي إلى أمير دمشق أن يؤمنه، ويتحمل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته، فقدم حمص وبلغه الخبر على حقيقته وصحته، واستيقنه فندم، ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء ولا يتناول من الطعام إلا ما يقيم رمقه، وينشد:

يا طلعة طلع الحمام عليها
وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما
روى الهوى شفتي من شفتيها
فوحق نعليها وما وطىء الحصى
شيء أعز عليَّ من نعليها

مـا كـان قـتـلـيـهـا لأنـي لـم أكـن
أبـكـي إذا سـقـط الـذبـاب عـلـيـهـا

لـكن ضـننـت على الـعيـون بـحسـنـهـا
وأنـفـت مـن نـظـر الـحـسـود إلـيـهـا

تلك رواية صاحب الأغاني، (أما ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان، فيذكر أنه كان لديك الجن جارية اسمها دنيا، فاتهمها بغلامه وصيف، فقتلها ثم ندم على ذلك وأكثر من التغزل بها). ودنيا في نفسها ورد زوجة الشاعر.

وذهب بهاء الدين العاملي في كتابه (الكشكول) إلى أبعد من هذا، فهو يذكر أن الشاعر كان له جارية وغلام قد بلغا في الحسن أعلى الدرجات، وكان مشغوفاً بحبهما، فوجدهما في أحد الأيام مختلطين تحت إزار واحد، فقتلهما وأحرق جسديهما وأخذ رمادهما وخلط به شيئاً من التراب وصنع منه كوزين للخمر، وكان يحضرهما في مجلس شرابه ويضع أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فتارة يُقَبِّل الكوز المتخذ من رماد الجارية وينشد:

يـا طـلـعـة طـلـع الـحـمـام عـلـيـهـا
وجـنـى لـهـا ثـمـر الـردى بـيـديـهـا

وتارة يقبل الكوز المتخذ من رماد الغلام وينشد:

وقـتـلـتـه ولـه عـلـي كـرامـة
مـلء الـحشـا ولـه الـفـؤاد بـأسـره

والحقيقة أن هذه الرواية من صنع الخيال، وليس في ديوان الشاعر ما يرمز إلى ذلك، وجل القصة ما ذكرناه أول الأمر من علاقة الشاعر مع ورد ووشاية أبي الطيب وما تسببت به من مأساة. إلا أن ما ذكره البهائي كان مدداً خصباً لبعض الشعراء، ومن أبدع ما قيل في ذلك قصيدة كأس للشاعر الكبير عمر أبو ريشة والتي بدأها بقوله: «يروى أن ديك الجن الحمصي قتل جاريته الحسناء حباً بها وغيرة عليها، وجبل من بقايا جثتها المحروقة كأسه، وكان ينشد بين شربه وبكائه أبياتاً من الشعر» وختمها بهذه الأبيات:

قبلتها والليل ينفض عنه أسراب النجوم
ومدامعي تجري وكفي فوق خنجري الأثيم
هي وقفة رعناء ضاق بهولها حلم الحليم
فحملت شلو ضحيتي والنار حمراء الأديم
وجبلت من تلك الجذى كأسي ومن تلك الكلوم
وغداً أحطمها أمام الله في ظل الجحيم
فاشرب ودعها فهي ما مرت على شفتي نديم.

مات ديك الجن الحمصي سنة ٢٣٥ هـ ـ ٨٥٠ م في أيام المتوكل، دون أن يذكره أحد من معاصريه بكلمة رثاء، ولا نعرف سبب هذا الإهمال الذي لقيه الشاعر بعد وفاته.

السيرة الأدبية:

ديك الجن الحمصي من شعراء الدولة العباسية، لم يفارق الشام ولا رحل إلى العراق ولا إلى غيره مادحاً أحداً ولا متصدياً لأحد، ومعنى ذلك أنه لم يكن متكسباً في شعره، فانفرد عن شعراء عصره، وتعفف عن قصد الملوك.

أما مدحه لأحمد بن علي الهاشمي فلم يحدث إلا مرة واحدة كما ورد في الديوان، وذلك عندما أعسر الشاعر فاحتاج إلى شيء من الدراهم عوناً لبعض إخوانه على عوادي الأيام وصروفها، ولعله مدحه بأكثر من قصيدة، إذ أن كثيراً من شعره قد ضاع. كما مدح جعفر بن علي الهاشمي شقيق أحمد، وكان عالماً فقيهاً أيضاً، من أئمة الدين والعلم.

وديك الجن شاعر مجيد، على مذهب أبي تمام والشاميين برأي صاحب الأغاني، وهو من المعدودين في إجادة الرثاء وهو أشهر فيه من أبي تمام وله فيه طريق انفرد بها كما يذكر ابن رشيق في العمدة، ويشير ابن خلكان في وفيات الأعيان إلى أن عبد السلام كان يتشيع تشيعاً حسناً، وله مراث في الحسين، وكان ماجناً خليعاً عاكفاً على القصف واللهو، وشعره في غاية الجودة.

ويقول ابن شهراشوب في كتابه شعراء أهل البيت، إن ديك الجن فاق شعراء عصره، وهو شاعر الدنيا وصاحب الشهرة في الأدب، طار ذكره وشعره في الأمصار حتى صاروا يبذلون الأموال للقطعة من شعره. افتتن بشعره الناس في العراق وهو في الشام حتى إنه أعطى أبا تمام قطعة من شعره وقال له: يا فتى اكتسب بهذا واستعن به على قولك فنفعه في العلم والمعاش.

وفي العمدة لابن رشيق أن دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المشهور، ورد حمص فقصد دار عبد السلام بن رغبان ديك الجن، فكتم نفسه عنه خوفاً من قوارصه، فقال: ما له يستتر وهو أشعر الجن والإنس، أليس هو الذي يقول:

بها غير معذول فداو خمارها
وصل بعشيات الغبوق ابتكارها
ونل من عظيم الردف كل عظيمة
إذا ذكرت خاف الحفيظات نارها

فظهر إليه واعتذر له وأحسن نزله.

ويذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان أنه عندما اجتاز الحسن بن هانيء (أبو نواس) بحمص قاصداً مصر لامتداح الخصيب، سمع ديك الجن بوصوله فاستخفى منه خوفاً أن يظهر لأبي نواس أنه قاصر بالنسبة إليه، فقصده أبو نواس في داره وهو بها، فطرق الباب، واستأذن عليه، فقالت الجارية، ليس هو

هنا، فعرف مقصده، فقال لها: قولي له: أخرج فقد فتنت أهل العراق بقولك:

مـوردة مـن كـف ظـبـي كـأنـمـا
تـنـاولـهـا مـن خـده فـأدارهـا

فلما سمع ديك الجن خرج إليه واجتمع به وأضافه.

وفي (حلبة الكميت) للنواجي أن أبا تمام لما قدم حمص وأراد الاجتماع بديك الجن واختفى منه، جاء إلى منزله وقال لأهله: مروه يخرج قد فتن أهل العراق بقوله:

مشعشعـة مـن كف ظـبـي كـأنـمـا

فخرج إليه واجتمع به، وقال:

وممشق الحـركـات تحسب نصفـه
لـولا التمنطق مـائـلاً عن نصفـه
يـسعى إلي بـكـأسـه فكـأنـمـا
يـسـعـى إلـي بـدرة مـن كـفـه

وهذه رواية انفرد بها النواجي، ويبدو أنه اشتبه عليه الأمر، لأن أبا تمام كان يختلف إلى ديك الجن في حمص إبان نشأته الشعرية ويستفيد منه، ومعنى ذلك أن ما من شيء يدعو ديك الجن إلى التخفي، فقد كان في قمة إبداعه الشعري، في حين كان أبو تمام فتى لم يشتهر اسمه في الآفاق.

ويؤيد ذلك ما قاله أبو الفرج في الأغاني من أن أبا تمام

قبل أن يشتهر شعره دخل على ديك الجن فقال له: أنا ابن أخيك حبيب بن أوس وقد ألهمت الشعر وأحب أن أعرض عليك بعض ما قلته، ثم أنشـده، فلما فرغ من إنشاده أخرج أبو محمد من تحت مصلاه درْجاً كبيراً من أشعاره فأعطاه أبا تمام، وقال: تكسب بهذه، فأخذها أبو تمام وخرج.

كما ذكر ابن رشيق في العمدة أن أبا تمام أخذ عن ديك الجن شاعر الشام أمثلة من شعره يحتذي عليها فسرقها.

وبشكل عام فإن ديك الجن يعتبر في طليعة شعراء العصر العباسي الأول ومن أبرزهم في الرثاء، وهو شاعر مطبوع، لا نجد صنعة في منظومه ولا تكلفاً في رصف كلمه، يمتاز شعره بروعة المطالع وجزالة اللفظ وعذوبته، وتدفق العاطفة، ومتانة السبك وسلامة اللغة وفصاحتها.

ديوان ديك الجن:

يتناثر شعر عبد السلام بن رغبان في شتيت المجاميع الأدبية والتاريخية القديمة، وهو لم يصل إلينا مجموعاً في ديوان خلال حياته أو بعدها، لكن يبدو أنه كان مجموعاً، إذ يحدث الثعالبي في المضاف والمنسوب أن ابن طباطبا طلبه من أبي عمرو جعفر بن شريك فلم يعطه إياه، فقال فيه:

يا جواداً يمسي ويصبح فينا
واحداً في الندى بغير شريك

أنت من أسمح الأنام بشعر النا
س ماذا اللجاج في شعر ديك
يا حليف السماح لو أن ديك الـ
جن من نسل ديك عرش المليك
لم يكن فيه طائل بعد أن يد
خله الذكر في عداد الديوك

وأول من التفت في أيامنا إلى ضرورة جمع شعر ديك الجن ونشره في ديوان مطبوع الأستاذان الأديبان عبد المعين الملوحي ومحيي الدين الدرويش الحمصيان، وقد وفقهما الله إلى ذلك إذ استوى لديهما ١٠٩ نماذج بين قصيدة وقطعة في ٤١٧ بيتاً تقريباً، فعمدا إلى جمعها في ديوان أطلقا عليه (ديوان ديك الجن الحمصي)، ثم عمدا إلى طبعه في مطابع الفجر الحديثة بحمص سنة ١٩٦٠ م في مئة وثلاثين صفحة من القطع المتوسط.

وقد أكمل الأستاذان الدكتور أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري عمل زميليهما وأصدرا سنة ١٩٦٤ م ديواناً جديداً لديك الجن ضمناه قصائد الشاعر في آل البيت والتي لم يذكرها الملوحي والدرويش، كما أنهما اعتمدا في إصدار ديوانهما على نسخة الشيخ محمد السماوي والتي جمع قصائدها بنفسه وكتبها بخط يده، وهي تقع في فصلين، الأول

يتضمن شعر دعبل الخزاعي والثاني شعر ديك الجن، وقد أرسلها إليهما الشيخ محمد علي اليعقوبي بعد أن انتقلت إليه بالبيع الشرعي، وقد رتبت نسخة ديوان ديك الجن على فصلين.

الأول: ما قاله في العلويين ويضم ثماني قصائد في ١٥٦ بيتاً، والثاني ما قاله في فنون مختلفة ويضم ٣٩ قصيدة في ٢٧٨ بيتاً.

وقد اتخذ مطلوب والجبوري هذه النسخة أصلاً وجمعا ما لم يذكر فيها وألحقاه بالديوان فكان في ثلاثة أجزاء.

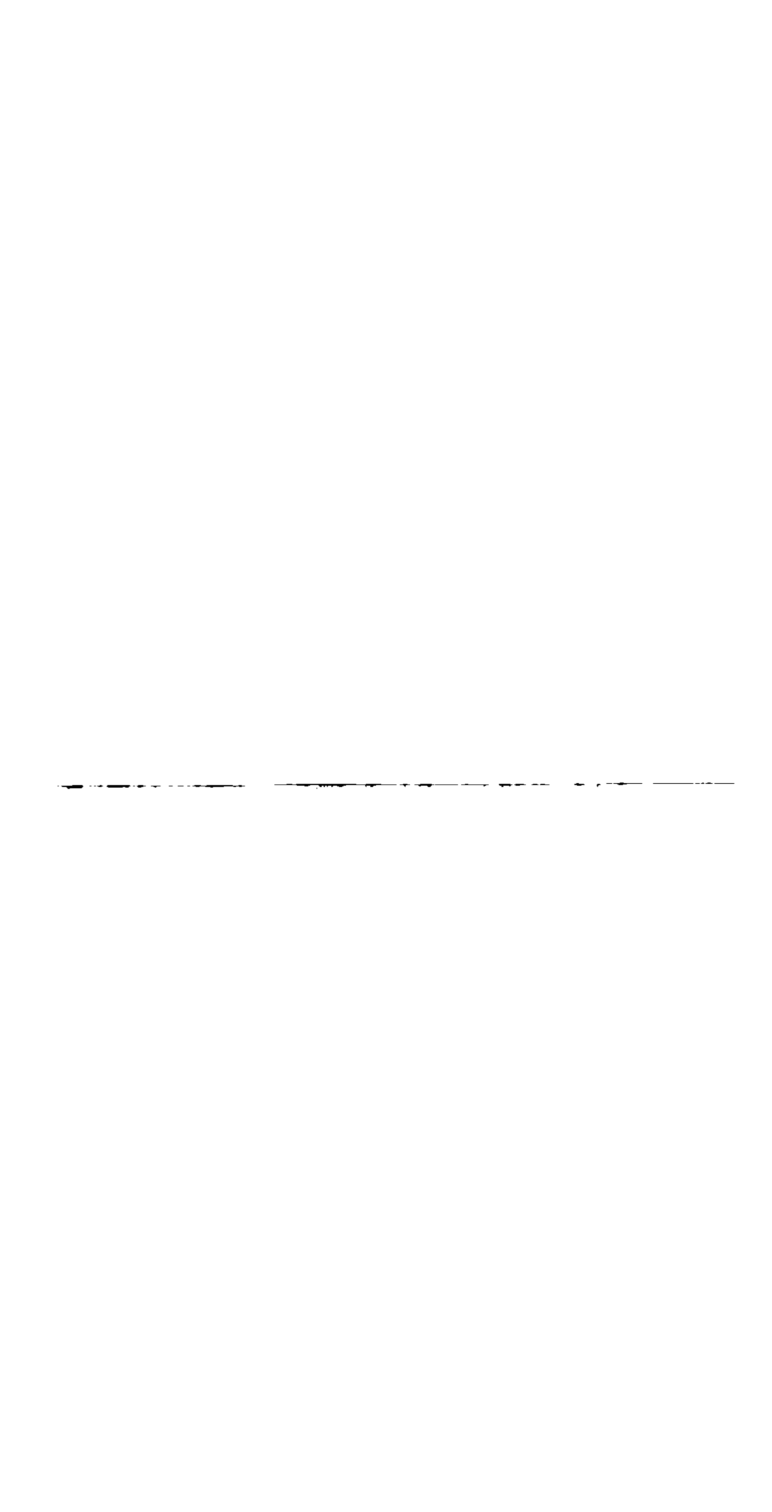
- الأول في آل البيت ويضم ثماني قصائد في ١٥٦ بيتاً.

- الثاني في فنون مختلفة ويضم ٣٩ قصيدة وقطعة في ٢٧٨ بيتاً.

- الثالث: تكملة الديوان وهو ما لم يجىء في النسخة المخطوطة. ويضم ٨٤ قصيدة وقطعة في ٢٠٧ أبيات.

- فنون الشعر -
في ديوان ديك الجن

١ - الرثاء
٢ - المدح
٣ - الهجاء
٤ - الفخر
٥ - الغزل
٦ - الشعر الخمري
٧ - الوصف
٨ - الحكمة



١ ـ الرثـاء

الرثاء هو بكاء الميت وندبه واسترجاع تاريخه والثناء على ما كان عليه من مواقف في الحياة، وتعداد مآثره السالفة وخصاله الحميدة، وكثيراً ما يكون موشحاً بطابع الحكمة والتأمل، ولديك الجن في ديوانه بعض قصائد في فن الرثاء، وفي إحداها يرثي الإمام الحسين بن علي ويستعيد ذكريات كربلاء، فإذا به منهار وجدانياً يكاد يقتله الحزن والأسى:

أصبحتُ مُلقى في الفراشِ سَقِيما
أجِدُ النسيم من السقام سموما

مَرَّتْ بقلبي ذكرياتُ بني الهدى
فَنَسِيتُ منها الرَّوْح والتهويما[1]

ونظرتُ سِبْطَ محمد في كربلا
فرداً يعاني حُزْنَهُ المكْظوما

تنحو أضالِعَهُ سيوفُ أميةٍ
فتراهُم الصمصومَ فالصمصوما

---

(١) الروح: الرحمة والرزق والاستراحة. ـ هوم الرجل تهويما: إذا هز رأسه من النعاس.

فــالجسـمُ أضحى في الصعيــد مُــوَزَّعَــاً
والــرأس أمسى في الصِعَــادِ كــريمــا(٢)

فالشاعر طريح الفراش، حزين سقيم، لا يجد للراحة والهناء سبيلاً، حتى إنه صار يتخيل النسيم العليل سماً ووباء. فذكريات آل البيت تدمي فؤاده، ثم يتحدث عن الحسين بن علي سبط رسول الله ﷺ وعن معاناته وبلائه الشديد وهو يدافع بمفرده وسيوف الأمويين تنهال على أضلاعه، حتى أصبح جسمه موزعاً على صعيد كربلاء ورأسه المكرم مرفوعاً على قناة.

وفي قصيدة ثانية يرثي الشاعر الحسين وآل البيت، معبراً عن ألمه وحزنه الذي لا ينفد، وهمومه التي غشيت فكره وفؤاده، حتى إنه نسي أمامها كل مغنى له ولذة، وهو يتساءل عن الحسين وبني الحسن ضحايا الظلم الأموي والعباسي، الضحايا الذين تتشوق إليهم أركان البيت الحرام ويحن إليهم الحجر الأسود، وتبكيهم آيات القرآن الكريم وسوره المنزلة العظيمة، فأي فخر بعد هذا الفخر:

مــا أنـتِ مني ولا ربعــاكِ لـي وطـرُ
ألـهَمُّ أمـلكُ بـي والـشــوقُ والـفِـكَـرُ

---

(٢) الصعيد: التراب ـ الصعاد: مفردة الصعدة وهي القناة المستوية ويريد بها هنا الرياح.

أيـن الحسـينُ وقتـلى من بـني حسـن
وجـعفـر وعـقيـل غـالَهُـمْ غـمِـرُ[1]
قـتلى يـحِنُّ إلـيهـا الـبيـتُ والحـجـرُ
شـوقـاً وتـبكـيهُـمُ الآيـاتُ والـسـور

ثم يتابع الشاعر مشيراً إلى طريق الصبر والفداء الذي اختطه آل البيت، طريق محمد رسول الله ﷺ، وعلي أمير المؤمنين، إذ ارتضوا الموت في سبيل إعلاء كلمة الحق والدين، ثم يعود الشاعر فيتحدث عما يكنه قلبه من محبة وعما يشعر به من ألم ومرارة، فهو يندب آل البيت ويبكيهم بدموع لا تعرف التوقف، ويرجو ألا تمحو الأنواء والأمطار مراقدهم الطاهرة:

لا دَرَّ دَرُّ الأعـادي عـنـدمـا وَتَـرُوا
ودَرَّ دَرُّكِ مـا تـحـويـن مـا حُـفَـرُ[2]
لـمـا رأوا طـرقـاتِ الصبـرِ مُعْـرِضَـةً
إلـى لِقَـاءٍ ولـقـيـا رَحْـمـةٍ صَـبـرُوا
قـالـوا لأنـفسِهـم: يـا حبـذا نَـهَـلٌ
مـحـمـد وعـلي بـعـده صَـدَرُ[3]

---

(١) الغمر: الجاهل ذو الحقد.
(٢) الوتر: الظلم.
(٣) النهل: أول الشرب.

رِدُوا هنيئاً مريئاً آلَ فاطِمةٍ
حوضَ الردى فارتضوا بالقتلِ واصطبروا
الحوض حَوْضُهُم والجدُّ جَدُّهُمُ
وعند ربهِمُ في خَلْقِهِ غِيرُ
أبكيكُمُ يا بني بنتِ الرسولِ ولا
عفت محلكمُ الأنواءُ والمطرُ[1]
أبكيكُم يا بني التقوى وأعْوُلِكُمْ
وأشربُ الصَّبْر وهو الصابُ والصَّبر
في كل يوم لقلبي من تذكرهم
تغريبةٌ ولدمعي منهم سفر
موتاً وقتلاً بهاماتٍ مُفَلَّقَةٍ
من هاشم غَاب عَنْها النصْرُ والظفَرُ[2]
كفى بأن أناةَ الله واقِعَةٌ
يوماً ولله في هذا الورى نَظَرُ

وفي ديوان ديك الجن قصيدة قالها في رثاء جعفر بن علي الهاشمي، وكان يحبه الشاعر ويجله ويتردد إلى داره في

---

(١) عفا: محا.

(٢) الهامات: الرؤوس ـ مفلقة: مشقوقة.

سلمية قرب حمص، لذلك صعق لما علم بموته، وتفتحت عبقريته فانطلق يبكيه بأصدق عواطفه وأسمى مشاعره:

علـى حـذه كـانت تـدور الـنـوائِـبُ
وفي كـل جَمْـعٍ لـلـذهـابِ مَـذاهِـبُ
نـزلْـنـا علـى حُـكـم الـزمـان وأمـرِهِ
وهـل يقبلُ النصْفَ الألَـدُّ المشـاغِبُ[1]
ويضحـكُ سِنُّ المـرءِ والـقلبُ مُـوجَـعٌ
ويـرضى الفتى عن دَهْـرِهِ وهُـو عَـاتِبُ

فالحياة دار فناء، يضحك فيها المرء ويلهو مع يقينه بأنه سيموت، دون أن يدري متى وكيف وأين. فالموت خاتمة الحياة، وهو حكم يسري على جميع المخلوقات. بعد ذلك ينتقل الشاعر إلى رثاء جعفر بن علي، رجل المكارم والجود، فموته أدمى المشاعر وأرهق النفوس، ويقدم أخاً لا يمت له بقرابة، سوى قرابة الروح والمثل ـ (والشاعر هنا يعني بالأخ نفسه).

ألا أيـهـا الـركـبـانِ والـردُّ وَاجِـبُ
قِـفُـوا حـدِّثـونا مـا تـقـول الـنـوادب

---

(١) النصف: بفتح النون وضمها وكسرها: الانصاف ـ الألد: الخصم الشحيح الذي لا يرجع إلى الحق.

إلى أي فتيانِ الندى قصد الندى
وأيُّهم نابَتْ حِماهُ النوائِبُ[1]
فيا لأبي العباس كم رُدَّ رَاغِبٌ
لفقدِكَ مَلْهُوفاً وكم جُبَّ غارب[2]
ويا لأبي العباس إن مَناكِباً
تنوء بما حُمِّلْتَهَا لنواكب[3]
فهالت أخاً لم تحوِهِ بقرابَة
بلى إن إخوان الصفاء أقارب

ثم يخاطب الشاعر قبر جعفر طالباً منه أن يجود على القبور من فيض سحابه الماطر، إذ فيه سماء غزيرة، غنية بالسحاب، وهو لو يدري ما فيه من عز وأمجاد لعلا حتى تصبح ذراه منتجع الكواكب:

ويا قبره جد كل قبر بجوده
ففيك سماء ثَرَّةٌ وسحَائِبُ[4]

---

(١) الحمى: المنزل.

(٢) جب: قطع ـ الغارب: الكاهل.

(٣) المناكب: جمع منكب وهو مجتمع رأس الكتف والعضد ـ نواكب: مفجوعة.

(٤) ثرة: غزيرة ـ الجود: المطر الغزير.

فإنك لو تدري بما فيكَ من عَلا
عَلَوْتَ وباتت في ذراكَ الكواكبُ

وينتقل الشاعر إلى الحديث عن الفيض الوجداني الذي يغمر فؤاده، والإجلال العظيم الذي كان يكنه لجعفر بن علي، فقد كان يبكيه دماً خيفة عليه وهو حاضر أمامه، وعندما يغيب عنه كانت عيناه تعميان من النحيب، وإذا ناشده الناس الصبر، رد عليهم بأن بكاء الكرام واجب. ويبلغ الحزن بالشاعر أقصى مداه عندما يعرض علينا هذه الصورة الباكية وذلك عندما رأى قلبه قُدَّ شطرين يوم وفاة ابن أمه جعفر، شطر وهى وتلاشى والآخر أسقم واعتل، وهكذا أصبح يمضي أيامه في المرارة واليأس، يحاول أن يدفع ما استطاع من نوائب الدهر ولكن أين له ذلك والزمان محارب لا يقهر:

أخاً كنت أبكيهِ دماً وهو حاضِرٌ
حذاراً وتعمى مُقْلَتِي وهو غائب
فمات فلا صَبْرِي على الأجْرِ واقِفٌ
ولا أنا في عُمْرٍ إلى الله راغبُ
يقولون مقدارٌ على المرءِ واجِبٌ
فقلتُ: وإعْوَالٌ على المرءِ واجبُ
هو القلبُ لما حُمَّ يومُ ابنِ أُمهِ
وهى جَانِبٌ منه وأُسْقِم جَانِبُ

تـرشَّـفْـتُ أيـامِـي وَهُـنَّ كَـوالِـحُ
عليـكَ وغـالبْتُ الـردَى وهـو غـالِبُ[1]
ودافـعتُ فـي صَـدْرِ الـزمـانِ ونـحـره
وأيُّ يَـدٌ لِـي والـزمـانُ مُـحَـارِبُ

ثم ينتقل الشاعر إلى الحديث عما كان عليه جعفر بن علي من مكرمات، فهو رجل العزيمة المتوقدة والنجدة والمروءة، رجل كالسيف في الملمات، أخلاقه صور عذبة حية عظيمة تدل وتشهد عليه في حله وترحاله:

فتى كـان مثـل السيف من حيث جئتـه
لـنـائبـة نـابتـك فـهـو مـضـارب
فتى همـه حمـد على الـدهـر رابـح
وإن غـاب عنه مـالـه فهـو عـازب
شمـائـل إن يشـهـد فهـن مشـاهـد
عـظام وإن يـرحـل فـهـن كـتـائـب

وهكذا أظلمت الدنيا في وجه الشاعر، ولكن ما يبرد نيران آلامه ومصائبه أنه يرى من وراء الحجب زمناً لا تعكره الشدائد والملمات، عندما يجتمع الناس كلهم أمام الله يوم القيامة.

---

(١) كوالح: عوابس.

ولعل من أجمل قصائد ديك الجن تلك التي رثى فيها زوجته «ورد»، فبعد أن تيقن من براءتها من التهمة التي نقلت له عنها، وقد ذكرنا ذلك في الحديث عن سيرة الشاعر، وهذه القصيدة رغم صغرها تنضح بالإيقاع الموسيقي، والنغم الشجي، وتكشف حب الشاعر لزوجته، وعن اعترافه الصريح بأنه قتلها حتى روى الثرى من دمها، وطعنها بالسيف وهو يبكي من أعماق قلبه، ولا يلبث الشاعر أن يذوب حسرة ومرارة ويعلن عن تأسفه البالغ وندمه مقسماً بنعليها، بأنه ما وطىء الحصى شيء أعز عليه منهما، ثم يحاول تبرير ما قام به باستدارة وجدانية موفقة، إنها الغيرة القاتلة، التي دفعت الشاعر إلى قتل زوجته كي لا ينعم بالنظر إليها الحاسدون:

يا طَلعةً طلعَ الحمامُ عليها
وجنى لها ثَمَر الردى بيديها
رويتُ من دمها الثرى ولطالما
روى الهوى شفتيَّ من شفتيها
قد بات سيفي في مجالِ وِشَاحِهَا
ومدامعي تجري على خديها
فوحقِّ نعليها وما وَطِىءَ الحصى
شيءٌ أَعَزُّ عليَّ من نعليْهَا

مـا كـان قـتلِيهـا لأنـي لـم أكـن
أبـكي إذا سـقط الـغـبـارُ عـليـهـا
لكن ضَنَنْتُ على العيـونِ بحسنهـا
وَأَنِفْتُ من نـظر الحسـود إليـهـا

واستمع إليه في هذه المقطوعة القصيرة المؤثرة، يبكي فيها الشاعر رفيقة عمره، بعد الندم الذي ملأ فؤاده، وحول حياته إلى جحيم لا يطاق، ومرارة متواصلة، وكيف لا يبكي وقد فقد القمر الذي ادخره ليوم بلائه وشدائده، بعد أن قتله وهو يأسر قلبه ويعيش في كيانه:

أشفقتُ أن يُـدلِي الـزمـانُ بعـذرِهِ
أو أُبْتَلَى بعـد الـوِصَـالِ بهجـرِهِ
فمـرٌ أنـا استخـرجتُـه من دَجْنِـهِ
لـبـليـتـي وجَـلَوْتُـهُ مـن خِـدْرِهِ
فـقـتـلتُـهُ وبـه عـلي كـرامـةٌ
مِـلْءَ الحشا ولـه الفؤادُ بـأسـره
عهـدي بـه مَيْتـاً كـأحسنِ نـائمٍ
والحـزنُ يسفحُ عبـرتي في نحـرِهِ

وفي قصيدة أخرى لا يرثي الشاعر زوجته فقط وإنما يرثي

نفسه أيضاً، تعبيراً عن الخسارة الفادحة التي مني بها والرزء الجسيم الذي جناه على نفسه:

أَسَاكِنَ حُفرةٍ وقرارِ لحدِ
مُفَارِقَ خُلَّةٍ من بعد عهد

أجبني إن قدرتَ على جوابي
بحق الودِّ كيف ظللتَ بعدي

وأين حللت بعد حُلولِ قلبي
وأحشائي وأضلاعي وكبدي

أما والله لو عاينت وَجْدِي
إذا استعبرتُ في الظلماءِ وحدِي

وَجَدُّ تَنَفُّسِي وعلا زفيري
وفاضتْ عَبْرَتِي في صحنِ خدي

إذن لَعَلِمْتَ أني عن قريب
سَتُحْفَرُ حُفْرتي ويُشَقُّ لحدِي

فهو يسأل هنا رفيقة عمره عما أصبحت عليه بعد فراقه، وأما هو فإنه ينعي نفسه إليها وهو حي، معبراً لها عما يعانيه من وجد وبكاء وألم مرير، ويعلن لها أنه عن قريب سيلحقها إلى الدار الآخرة.

وخاتمة المطاف في فن الرثاء، مقطوعة صغيرة من ثلاثة

أبيات، رثى فيها الشاعر ولده رغبان، بعبارات تقطر ألماً ولوعة:

بـأبي نبـذتُـكَ في العـراءِ الـمقـفـرِ
وسـتـرتُ وجهـكَ بـالتـرابِ الأغْفَـرِ

بـأبي بـذلتُـكَ بـعـد صـونٍ للبِـلى
ورجعتُ عنـكَ صبـرتُ أم لم أصْبِـرِ

لـو كـنـت أقـدِرُ أن أرى أثـر الـبِـلَى
لتـركتُ وجهـكَ ضَـاحِيـاً لم يُقْبـرِ

فهو يخاطب نجله من الأعماق، مدركاً أنه أضحى بعيداً عنه في العراء، حيث ستر وجهه بالتراب، وأودعه الثرى بعد أن بذل في سبيله الغالي والرخيص، ويعلن أنه لو كان يستطيع أن يرى أثر البلى لترك وجه ولده دون أن يقبر، لينعم عينيه برؤيته ويسعد بالنظر إليه.

وهذه الأبيات الثلاثة ربما كانت جزءاً من قصيدة ضاع معظمها كما ضاع غيرها من نتاج ديك الجن والله أعلم.

٢ ـ المـدح

لم يعرف عن ديك الجن أنه قصد الملوك والخلفاء والأمراء بغية مدحهم ونيل جوائزهم السنية كما فعل معظم الشعراء الذين عاصروه، لذلك خلا ديوانه من شعر التكسب، وقصر مدحه على آل بيت الرسول، وعلى الهاشميين أحمد بن علي وشقيقه جعفر، إذ كان مقدراً مجلاً لهما، وكثيراً ما كان يقصدهما في سلمية مقر إقامتهما ويكيل لهما مدائحه العصماء، وأكثر من نال إعجابه فمدحه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، إذ كان يراه المثل الأعلى والقدوة الصالحة، لذلك دافع عن حقه بالخلافة، وعدد مناقبه وفضائله ومعاليه، وتحدث عن نضاله الرائع في سبيل الإسلام كما يبدو من قصيدة لامية في الديوان:

دَعُوا ابن أبي طالِبٍ للهُدَى
ونَحْرِ العدى كيفما يفعلُ

ومن كعلي فَدى المصطفى
بنفسٍ، ونام فما يخْفِلُ

عَشِيَّةَ جاءتْ قُرَيْشُ لـه
وقد هاجَر المصطفى المُرْسَلُ
وطافُوا على فُرْشِهِ ينظرون
من يتقدَّمُ إذ يُقْتَلُ
فلما بدا الصبحُ قام الوصِي
فأقبل كُلٌّ له يَعْذُلُ

فالشاعر هنا يتحدث عن التضحية الرائعة التي قدمها علي خدمة للإسلام، عندما نام في فراش الرسول ﷺ عشية هجرته إلى يثرب، والمشركون في الخارج لا يساورهم أدنى شك في أن النائم هو محمد ﷺ نفسه، إلا أن ظنهم خاب، (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون).

وعلي مناضل صلب، وبطل لا مثيل له، خاض معارك البطولة والشرف في بدر وأحد، وقد بحسامه البتار أجسام المنافقين، وفتح بعزمه الجبار حصن خيبر وانتزع بابه الذي استعصى على العشرات، فكان الأسد الفرد الذي تعنو له الأسود:

ومن كعلي إذا ما دَعوا
نزالِ وقد قَلَّ من يَنْزِلُ
تراه يَقُدُّ جُسُومَ الرجالِ
فينْدحِرُ الأوَّلُ الأولُ

وكم ضربةٍ واصلتْ كَفُّهُ
لِفَيْصَلِهِ فاحتوى الفَيْصَلُ[1]
سطا يومَ بدرٍ بِقِرْضَابِهِ
وفي أُحُدٍ لم يزل يَحْمِلُ[2]
ومن بأسِهِ فُتِحَتْ خيبرٌ
ولم يُنْجِهَا بابُهَا المقْفَلُ
وما أربعينَ ذِرَاعاً بها
هِزَبْرٌ له دَانَتِ الأشْبُلُ[3]

وله أرجوزة يمدح فيها علياً وسواه من آل البيت، ويذكر ما قاله الرسول ﷺ بحق ابن عمه، إذ جعله أخاه، وساواه بنفسه واعتبره بالنسبة إليه بمنزلة هارون من موسى، وفضله على سائر العالمين، وحذر خصومه ومعارضيه، وزوجه بأمر من الله ابنته فاطمة سيدة النساء، ليزداد منه قرباً وبه قوة وبأساً:

إن الرسولَ لم يزلْ يقولُ
والخيرُ ما قال به الرسولُ
إنك مني يا عليُّ الأبيُّ
بحيثُ مِنْ موساه هَارونُ النبي

(١) الفيصل: السيف.
(٢) قرضبة: قطعة ـ والقرضاب: السيف القاطع.
(٣) دحا الشيء: بسطه ـ ومنه قوله تعالى: ﴿والأرض إذا دحاها﴾ ـ الهزبر: الأسد.

لـكـنـه لـيس نَـبِـيٌّ بـعـدي

فـأنـت خَـيْـرُ الـعـالـمـين عِـنْـدِي

وأنـت مـنـي الـزِّرُّ من قـمـيـصِـي

ومـا لـمـن عـاداكَ من مَـحِـيصِ[1]

وأنـت لـي أخٌ وأنـت الـصِّـهْـرُ

زَوَّجَـكَ الـذي إلـيـه الأمْـرُ

رَبُّ الـعُـلى بـفَـاطِـمِ الـزهـراءِ

ذاتِ الـهُـدَى سـيـدةِ الـنِّـسـاءِ

ثم يتابع الشاعر فيمدح آل البيت أصحاب الكساء، معتبراً أن من والاهم واتبع خطاهم نجا واكتمل إيمانه، ومن خالفهم أصلاه الله نار الجحيم، إنهم المرشدون إلى طريق الحق والهدى، والفوز بنعيم الدارين:

فـالـحـمـد لله عـلى مـا قـد حـبـا

لخمسـةِ الأشبـاحِ أصـحـابِ العَبَـا

هُـمُ لـمـن والاهُـمُ أمَـانُ

إذ كـان فـيـهِـمْ يـكْـمُـل الإيـمـانُ

وهـم يَـدْعُـونَ الـذي لـهـمْ قـلى

للنـارِ دَعَّـاً حيثُ كـان المُـصْـطَلَى

---

(١) محيص: مهرب.

وهُـمْ هُـدَاةُ الـخـلْقِ لـلرشـاد
والـفَـوْزُ فـي الـمبـدإ والـمـعـادِ

ولديك الجن قصيدة يعزي فيها جعفر بن علي الهاشمي عن زوجته ويمدحه في بعض أبياتها، فهو بنظره رجل المهمات الصعبة، يمتلك الشجاعة والحمية، والمروءة والنجدة، وهو ينبوع الخير والأمل، ينبثق الهدى والنور من ملامحه، وترتسم على محياه آيات العقل، إذ به يعقل الناس ويهتدون إلى طريق الحق والصواب:

أنـت أبَـا الـعـبـاسِ عَـبَّـاسُـهَـا
إذا اسـتـطارَ الحَـدَثُ الـمعْـضِـلُ[1]
وأنـت يـنْـبُـوعُ أفـانِـيـنِـهَـا
إذا هُـمُ فـي سـنَـةٍ أمْـحَـلُوا[2]
وأنـت عَـلاَّمُ غُـيـوبِ الـنَّـثـا
يـومـاً إذا نـسـألُ أو نُـسـأل[3]

---

(١) استطار: إنتشر وتفرق ـ المعضل: الصعب.
(٢) أمحلوا: أصابهم المحل وهو الجدب والقحط ـ السنة: الجدب.
(٣) في الأصل:
وأنـت عـلام عـيـوب الـثـنـا
يـومـاً إذا تـسـأل أو تـسـأل
نثا الحديث والخبر نثواً: حدث به وأشاعه وأظهره.

نحن نُعزِّيك ومنكَ الهُدَى
مُسْتخْرَجٌ والنورُ مُسْتَقْبلُ
نقولُ بالعقلِ وأنت الذي
نَأوِي إليه وبه نَعْقِلُ
نحنُ فِدَاءٌ لك من أُمَّةٍ
والأرضُ والآخِرُ والأوَّلُ
إذا عفا عنكَ وأدى بها
ذا الدهْرُ فهو المحسِنُ المُجْمِلُ

ورغم تردد الشاعر على أحمد بن علي الهاشمي في سلمية وما عرف عنه من مدح له فإننا لم نعثر في الديوان إلا على مقطوعة صغيرة من خمسة أبيات، ومن المؤكد أن معظم ما قاله الشاعر في أحمد بن علي قد ضاع، وفي هذه المقطوعة يستأذنه في العودة إلى حمص بعد أن بلغه من أمر زوجته الكثير ولا يشير إليه شخصياً إلا في البيت الأخير:

إن رَيْب الزمانِ طال انتِكَاثُه
كم رمتني بحادِثٍ أحداثُهْ[1]
ظَبْيُ إِنْسٍ قلبي مَقيلُ ضحاهُ
وفؤادي بَرِيرُهُ وكباثُه[2]

(١) انتكاثه: انتقاضه ـ من نكث: نقض.
(٢) البرير: من ثمر الأراك ـ الكباث: النضيج منه.

كـم وكم أستغيثُ من شحطَةِ الـعا
ر ولـم يـسعف الـنوى مُسْتغَاثُه
خيفة أنْ يَخُونَ عهدي وأن يُضْـ
ـحِي لِغَيري مجولُهُ وَرِعَاثُه[1]
فـإذا شاءَ أحمدُ بنُ عليٍّ
ضم شملاً لـه يُخَافُ انْشِعَاثُه[2]

---

(١) حجول: جمع حجل وهو الخلخال ـ رعاث: جمع رعثة كوردة ورقبة وهي القرط.
(٢) الشعث: انتشار الأمر ـ يقال لم الله شعثك: أي جمع أمرك لينتشر.

٣ ـ الهجاء

قصائد الهجاء قليلة في ديوان ديك الجن، فهي لا تزيد على ثنتين، إذ أن الشاعر كما ذكر صاحب الأغاني لم يبرح حمص مادحاً أحداً ولا متصدياً لأحد، ولعل نتاجه في هذا الفن ضاع مع ما ضاع له من شعر عبر الزمن.

وفي إحدى القصيدتين يهجو الشاعر أهل حمص لأن خطيبهم كان يكثر الصلاة على محمد ﷺ فعزلوه:

سمعوا الصلاةَ على النبي توالى
فتفرقوا شِيعاً وقالوا: لا، لا

ثم استمر على الصلاةِ إمامُهم
فتحزبوا ورمى الرجالُ رجالا

يا آل حمص توقعوا من عارِها
خِزْياً يَحِلُّ عليكم ووبَالا

شاهَتْ وجوهُكُم وُجوهاً طالما
رَغِمَتْ مغَاطِسُها وساءتْ حالا[1]

---

(١) شاهت: قبحت ـ المعطس: الأنف.

إن يُـثْـنِ مــن صــلى عــليــه كــرامــةً
فــالله قــد صــلّى عــليــه تــعــالــى

فأهل حمص أنكروا على الخطيب تكرار الصلاة على النبي ﷺ وكان يصلي عليه في كل خطبة على المنبر ثلاث مرات، لذلك ثاروا عليه وتحزبوا ضده وعزلوه، وينذر الشاعر أهل حمص بخزي سوف يحل بهم ووبال يصيبهم، فطالما ذلت وهانت وجوههم الصاغرة القبيحة، ويعجب الشاعر كيف يُذم من يصلي على الرسول ﷺ علماً أن الله جل شأنه صلى عليه وكرمه.

وفي القصيدة الثانية يهجو ابن عمه أبا الطيب لأنه كان يعظه وينهاه عما يفعله حتى انه كان يهجم عليه أحياناً وعنده قوم من السفهاء والمجان وأهل الخلاعة فيستخف بهم وبه، فلما كثر ذلك على عبد السلام قال فيه:

يــا عــجبــاً مــن أبــي الــخـبـيـثِ ومــن
ســروجِــه فــي الــبـكــائِــرِ الــدَّثِــرة[1]
يــحــمــلُ رأســاً تــنـبــو الــمـعــاولُ عــن
صــفـحــتــهِ والــجــلامــدُ الــوعِــرَة[2]

(١) أبو الخَبيث هو أبو الطيب وقد قلب كنيته ـ ويبدو أن الشطر الثاني مصحف ـ ولعل صواب قراءته الى خروجه في النكائر الدثرة، والنكائر: جميع نكير وهو ماينكره عليهم من المعاصي، والدثرة: المنسية البالية.

(٢) تنبو: تكل ـ الجلامد: جمع جلمد وهو الصخر.

لـو الـبـغـالُ الـصـلـبُ ارتـقـتْ سـنَـداً
فـيـه لـمـدت قـوائـمـاً خَـدِرَهْ[1]
ومـا الـمـجـانـيـقُ فـيـه مُـغْـنِـيـةً
ألـفٌ تـسـامـى وألـفٌ مـنـكـدِرَة[2]
انـظرْ إلى مـوضـعِ المقص من الـهـا
مـةِ تـلـك الـصـبـيـحـة الـعَـجِـرَة[3]
فـلو أخـذتُـم لـهـا الـمـطارقَ حـرا
نـيَّـةً صَـنْـعـةَ الـيـدِ الـخَـبِـرَة[4]
إذن لـراحـتْ أكُـفُّ جـلَّتِـهِـم
كـلـيـلةً والأداةُ مـنـكـسِـرة[5]

فالشاعر ينعت ابن عمه بالخبث ويعجب من ثورته عليه من أجل أشياء بالية قديمة، ثم يشير إلى صلابة رأسه الذي تعجز المعاول عنه، ولو ارتقته البغال لغشيها ثقل وفتور، ويدور

---

(١) السند: ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح ـ خدرت رجله: غشيها ثقل وفتور فلم تقو على المشي.

(٢) المجانيق: جمع منجنيق وهي آلة ترمى بها الحجارة ـ منكدرة: من انكدرت النجوم إذا تناثرت وانكدر أيضاً أسرع وانقض ـ وانكدر عليه القوم: انصبوا.

(٣) الصفيحة: الحجر العريض ـ العجرة: الصلبة المتعقدة.

(٤) حرانية: نسبة إلى حران وهي مدينة على طريق الموصل والشام والروم ـ خبر بالشيء ـ عالم به.

(٥) جلتهم: كبارهم.

الشاعر حول نفس المعنى في سائر الأبيات، فلا المجانيق تستطيع أن تفعل شيئاً فيه، ولا المطارق الحرانية المشهورة تجدي نفعاً، إنما الذي يحصل أن الأكف ترجع كليلة متعبة وأداة العمل تنكسر وتتحطم.

ثم يتابع الشاعر فيتحدث عما جره ابن عمه من مساوىء، فكم أفسد عليه وعلى من معه حياتهم، وحول صفو عيشهم إلى كدر وألم، وكم أفسد من فتيات مسرورات حتى تخيلنه ملك الموت، إذ كلما رأينه تبرد أطرافهن من الوجل والخوف، فيقذفنه بالسباب والشتائم، وأم أبي الطيب كريمة لكنه عرضها للشتيمة من بعض القوم الذين أخذوا ينسبون إليها المثالب، ثم يدعو الشاعر إلى الوقوف على منزل أبي الطيب ورؤية ما فيه من جهل وغي، ويعجب كيف يمسك الله السماء على الأرض وفيها أخلاق المهجو القذرة، وهو إلى جانب ذلك طالعه نحس وعسر:

كم طَرِبَاتٍ أفْسَدْتَهُنَّ وكم
صفوةِ عيشٍ غادرْتَهَا كَدِرَة
وكم إذا رأوْكَ يا مَلَكَ المو
تِ لهم من أناملٍ خَصِره[1]

---

(١) خصرة: باردة.

وكــم لــهــم دعــوةٌ عــلـيــك وكــم
قَــذفَــة أمٍّ شــنــعــاءَ مُــشْــتَــهِــرَه
كــريــمــةٍ لُــؤْمُــكَ اســتـخــفَّ بــهــا
فــنــالــهــا بــالــمــثــالِــبِ الأشِــره[1]
قِــفُــوا عــلى رحــلِهِ تــرَوْا عــجــبــاً
بــالجهــل يحكي طــرائِفَ البُصــره[2]
يــا كــلَّ مَــنّــيٍ وكــل طــالِــعَــةٍ
نُــحْــسٍ ويــا كُــلَّ ســاعَــةٍ عَسِــرَة[3]
سُبحــانَ مـن يُمسِــكُ الســمــاء على
الأرضِ وفــيــهــا أخــلاقُــكَ الــقَــذِرَة

وفي مقطوعة صغيرة يهجو ديك الجن نفسه، إنه سمج براه الله في صورة جني:

أيــهــا الــســائــل عــنــي
لــســت بــي أخــبــر مــنــي

---

(١) المثالب: العيوب جمع مثلبة ـ الأشرة: جمع أشر وهو البطر.
(٢) الرحل: المنزل والمسكن ـ البصرة: صيغة مبالغة من بصير وهو ذو الفراسة البعيد النظر ـ أي ما يصدر عن أبي الطيب من طرائف في الجهل يحكي ما يصدر عن ذوي البصر والفراسة.
(٣) المني: كذا ورد ولا معنى له، والصواب يأكل مني، شبهه في ثقله بالمن بعد العطاء وهو ثقيل على النفس ولذلك جاء في الحديث الشريف: «ولا تفسدوا صدقاتكم بالمن والأذى».

أنــا إنــســانــي بــرانــي
الله فــي صــورة جــنــي

بـل أنـا الأسمـج في العيـ
ـن فـدع عنـك التـظنـي

أنــا لا أســلـم مــن نــفـ
ـسي فـمـن يـسـلـم مـنـي

٤ ـ الفخر

الفخر هو مدح الإنسان نفسه أو قومه، وقد افتتن العرب بهذا الفن منذ العصر الجاهلي، وكانت الحياة القبلية آنذاك ميداناً رحباً لنموه وازدهاره.

وإذا كان الإسلام قد حد من جموح هذا الفن في مطلع الدعوة فنهى عن التفاخر بالأنساب والأحساب، فإنه عاد ليأخذ مكان الصدارة في عصر بني أمية بعد عودة العصبية القبلية والنزاعات السياسية المتعددة.

وفي العصر العباسي لم تخمد جذوة الفخر وانطلاقته، فدخل عصر النزاعات العقيدية والفكرية والسياسية والاجتماعية، وها هو ديك الجن الحمصي يفتخر بقبيلته كلب معتبراً أنها خير من ولدت حواء أم البشر من العرب والعجم على السواء ثم يذكر بنضالها في سبيل إعلاء كلمة الدين الإسلامي في معارك أحد ومؤتة وصفين، كذلك في معركة كربلاء حيث قدموا أجسادهم وأرواحهم قرابين على مذبح التضحية والفداء:

كلبٌ قبيلي وكلبُ خيرُ من وَلَدَتْ
حواءُ من عربٍ غُرٍّ ومن عَجَمِ
وَعَيَّرَتْنَا وما إن طُلَّ في أحد
وطل في مؤتةٍ والدينُ لم يرمِ
غداةَ مؤتةَ والإشراكُ مكتهلٌ
والدينُ أمردُ لم يفعْ فيحْتلِمِ
ويومَ صفين من بعدِ الخريبةِ كم
دمٍ أُطِلَّ لنصرِ الدين إثْر دم[1]
وفي الفراتِ فداءَ السبطِ قد تُرِكَتْ
أشلاؤنا في الوغى لحماً على وَضَمِ
غداة شالت من التقوى نعامتها
وآذنت صعقاتُ الحق بالنِّقَمِ[2]

وقبيلة الشاعر حقنت دم الإسلام بالمنعة والقوة بواسطة دم رجالها الذي أريق في ساحات الوغى والنضال:

إن تَعْبسِي لدمٍ منا هُريقَ بها
فقد حقنا دَمَ الإسلام فابتسمي[3]

---

(١) الخريبة: الموضع الذي وقعت عنده معركة الجمل.

(٢) شالت: ارتفعت ـ يقال: شالت نعامتهم إذا انتقلوا عن الموضع فلم يبق فيه منهم أحد ولم يبق لهم فيه شيء.

(٣) هريق: سفك.

وفي قصيدة أخرى يحمل الشاعر على العرب ويتحمس لغيرهم، حتى إنه يفتخر بالانتساب إلى القياصرة والأكاسرة، ويسخر من الشعراء القدماء الذين عاشوا في حمى الصحراء:

إنـــي بـبـابـكَ لا وُدي يـقـربـنـي
ولا أبـي شَـافِـعٌ عـنـدي ولا نـسـبـي
إنْ كـان عـرفُـك مـذخـوراً لـذي سببٍ
فـاضْمُمْ يـديـك على حـرٍّ أخي سببِ
أو كُـنْـتَ وافـقـتـه يـومـاً عـلى نَـسَـبِ
فـاضمم يـديـك فـإني لستُ بـالعـربي
إنـي امـرؤ بـازلٌ فـي ذروتَـيْ شَـرَفٍ
لـقيـصـرٍ ولكـسـرى محـتـدي وأبـي[1]
مـا الـشنـفـرى وسليـكٌ في مُغَيَّبَـةٍ
إلا رضـيعـا لـبـانٍ فـي حـمـى أَشِـبِ[2]

ومن هنا نسب ديك الجن إلى الشعوبية، حتى إن بعضهم عده من شعرائها، ولعله انجرف في ذلك مع تيار أبي نواس وأضرابه دون قصد، تيار المجون الذي كان يقود إلى

(١) بازل: البعير نبتت سنه، والرجل اكتملت تجربته.
(٢) الشنفرى وسليك شاعران عداءان من صعاليك العرب ـ المغيبة: الصحراء التي تغيب سالكيها ـ الأشب: الملتف.

مثل هذه المواقف، والذي يعبر عن ترف العصر، وانقلاب المفاهيم الحياتية فيه، وليس عن حقد وكره من الشاعر.

وقد اتهم الأدباء والمؤرخون ديك الجن بالشعوبية من غير أن يذكروا دليلاً على ذلك سوى ما رواه الأصفهاني في أغانيه إذ يقول: (كان شديد التشيع والعصبية على العرب، ثم يذكر قولاً لديك الجن:

(ما للعرب علينا فضل، جمعتنا وإياهم ولادة إبراهيم ﷺ وأسلمنا كما أسلموا، ومن قتل منهم رجلاً منا قتل به، ولم نجد الله عز وجل فضلهم علينا إذ جمعنا الدين).

ويذكر ابن خلكان هذا الكلام نفسه فيقول: وكان يفخر على العرب ويقول: ما لهم فضل علينا أسلمنا وأسلموا.

والحقيقة أنه لولا هذه العبارات المنسوبة للشاعر ولولا الأبيات التي سبقتها لما كان للناقدين شيء يدلون به على ديك الجن، ويوصمونه فيه بالشعوبية، فهو عربي أصيل، من قبيلة عربية معروفة، ولد في بلاد الشام أعرق البلاد العربية تاريخاً وحضارات ونشأ في حمص العربية ولم يبرحها متصدياً لأحد ولا مادحاً أحداً سوى ما كان من مدحه للهاشميين الجليلين العربيين أحمد بن علي وشقيقه جعفر.

ولنتابع ما يقوله الشاعر في نفسه:

والله رب النبي المصطفى قسماً
بـرّاً وحقِ منًى والبيتِ ذي الحجبِ
والخمسةِ الغرِ أصحابِ الكساء معاً
خيرِ البريةِ من عُجْمٍ ومن عرب
ما شِدةُ الحرصِ من شأني ولا طلبي
ولا المكاسبُ من هَمي ولا أرَبي
وليس يعرفُ لي قدري ولا أدبي
إلا امرؤٌ كان ذا قدرٍ وذا أدب
لا يفْتِنَنَّكَ شكري إن ظَفِرْت به
فإنها فُرْصَةٌ وافتكَ من كَثَبِ
واعلم بأنك ما أودعْتَ من حَسنٍ
عندي ففي حسنٍ أنقى من الذهب

فهو يقسم بالله العلي العظيم، وبآل البيت خير الناس قاطبة، وبالبيت الحرام على أنه يمقت البخل ولا يسعى وراء المكاسب الشخصية، ثم يعلن أنه لا يعرف قدره وأدبه إلا من كان مثله، ذا مكانة وأدب، وهو نقي السريرة، يبادل الإحسان بالإحسان، والمودة بالمودة الطافحة النقية.

والشاعر لا يفتأ يتغنى بمكارمه وعلاه وبأسه وصدقه ومجده كما يظهر في قوله:

إن العُلاَ شيمِي والبأس من نقمي
والمجدَ خِلْطُ دَمِي والصدقَ حشو فمي

ويؤكد على أمجاده في بيت آخر:

سلا هل كمجدي أو كفخري لفاخِرٍ
وعندكما من قبل أن تسألا خُبْرُ

٥ ـ الغزل

حظي فن الغزل بقسط وافر من قصائد الشاعر في الديوان، وقد فتن ديك الجن بالجمال وأنشد فيه أروع أغانيه، فتحدث عن المفاتن الجسدية وساعات الفراق والوداع واللقاء، وما تثيره من وجد وصبابة وجوى، فاستمع إليه في هذه الأبيات وهو يتحدث عن ساعة الفراق، يوم اعتصر كبده لوعة وحزناً، بعد أن شبكت محبوبته يدها بيده محاذرة أعين الوشاة منصرفة وهي تعض أصابعها من فرط الغيظ وألم البعاد، ومذ ذاك أسقط في يد الشاعر، فانصرف إلى البكاء وطلق عهد الجلد والصبر:

ودعتُهَا لفراقٍ فاشتكتْ كبدِي
إذ شَبَّكتْ يَدَها من لوعةٍ بيدي
وحاذرتْ أعْيُنَ الواشين فانصرفَتْ
تَعَضُّ من غيظِها العُنَّابَ بالبرَدِ
فكان أولُ عهدِ العينِ يوم نأتْ
بالدمعِ آخِر عهدِ القلبِ بالجلدِ

وها هو في قصيدة بائية يتحدث عن فتاة رائعة الجمال، قامتها كالغصن الطري وقدها ضامر كالقضيب، تفوق القمر ضياء وانبعاثاً، حتى إنه يغيب كلما لاحت له، وفي هذه الومضات الجمالية الساحرة يذوب ديك الجن، فيخاطب تلك الفتاة في ليل مدلج دامس وقد انفردا في مئزر واحد يتناجيان الهوى والغرام، فهي برأيه زين النساء، ومناه، وهواه الذي يدعى له فيستجيب، إذ يطيب بها العيش وتحلو الأيام.

ومعدولةٍ مهما أمالتْ إزارها
فَغُصْنٌ وأما قَدُّها فقضيبُ[1]

لها القمرُ الساري شقيقٌ وإنها
لتطلعُ أحياناً له فيغيبُ

أقول لها والليلُ مُرْخٍ سُدولَهُ
وغصنُ الهوى غضُّ النبات رطيبُ[2]

ونحن به فردانِ في ثني مئزرٍ
بكِ العيشُ يا زينَ النساءِ يطيبُ

---

(١) في أعيان الشيعة:

(ومجزولة أما ملات إزارها
فدعص وأما قدها فقضيب)

ومعدولة لعلها تصحيف مجدولة.

(٢) في أعيان الشيعة: غض الشباب.

لأنتِ المنى يا زينَ كُلِّ مَليحَةٍ
وأنتِ الهوى أُدْعى له فأُجِيبُ

وكان ديك الجن قد اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص هويها وتمادى به الأمر حتى غلبت عليه، فلما اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوج بها فأجابته لعلمها برغبته فيها، وأسلمت على يده فتزوجها وكان اسمها وردا وفي ذلك يقول:

أنظر إلى شمس القصورِ وبدرِها
وإلى خُزامَاهَا وبهجةِ زَهْرِهَا[1]
لم تَبْلُ عَيْنُكَ أبيضاً من أسودٍ
جمع الجمالَ كوجهها في شَعْرِهَا[2]
ورديةُ الوجناتِ يختبرُ اسمها
من ريقها من لا يُحيطُ بوصفها
وتمايلتْ فضحكْتُ من أردافِها
عجباً ولكني بكيتُ لخصْرِها
تسقيكَ كأس مُدامَةٍ من كفها
ورديةٍ ومُدامةٍ من ثَغْرِهَا

فبدر اسم على مسمى، إنها شمس القصور وبدرها

(١) الخزامى: نبت طيب الرائحة زهره أطيب الأزهار نفحة.
(٢) تبلُ: تختبر.

المنير الجميل، ونباتها الزكي العابق وأزهارها الفاتنة الرائعة، جمعت في شعرها الأسود ووجهها الأبيض الناصع كل عناصر الجمال، وهي إلى جانب ذلك وردية الوجنات عذبة الريق ضامرة الخصر ممتلئة الردفين، تسقيك كأسي خمرة وردية، واحدة من كفها والأخرى من ثغرها.

وفي قصيدة أخرى يتحدث عن لقائه بفتاة في حلم جميل رآه:

مرت فقلت لها: تحية مُغْرمِ
ماذا عليكِ من السلامِ؟ فسلِّمي
قالت لمن تعني فطرفُك شَاهِدٌ
بنحولِ جسمكَ قلت للمتكلمِ
فتضاحكت فبكيتُ، قالت لا تُرَعْ
فلعل مثلَ هواك بالمتبسمِ
قلتُ: اتفقنا في الهوى فزيارَةً
أو قُبْلَةً قبل الزيارةِ قَدِّمي
فتبسمتْ خجلاً وقالت: يا فتى
لو لم أدعكَ تنامُ، بي لم تحلمِ

فها هو يحييها بشوق وحب عندما مرت أمامه ويحثها على رد التحية بمثلها، ولما سألته عمن يعني أجابها، وهنا فرق كبير بين الشاعر وبين محبوبته، فهو باك حزين وهي ضاحكة

مبتسمة، وإذ هدأت من روعه أخذ يتقرب منها، عارضاً عليها أن يقوم بزيارة لها أو يقدم قبلة تسبق هذه الزيارة، فخجلت من قوله ونبهته إلى أنه في حلم.

ويحن الشاعر في مقطوعة أخرى إلى ذكريات الأحباب، ويتشوق إلى ساكني أكناف الشام ويقسم على أنه لم يفارق تلك الديار إلا مرغماً وليس عن بغض وكراهية، ولكن إذا أراد الله أمراً يقول له كن فيكون:

أما لي على الشوق اللجُوجِ مُعِينُ
إذا نزحتْ دارٌ وخَفَّ قطينُ[1]
إذا ذكَرُوا عهد الشآمِ استعادني
إلى من بأكنافِ الشآمِ حنينُ[2]
فوالله ما فارقتها عن قِلىً لها
ولكنَّ ما يُقْضَى فسوف يكون[3]

وفي مكان آخر من الديوان يشكو الشاعر مرارة إقصائه ونسيانه بعد فراق الأحباب، ويتساءل عن سبب هذا الإهمال، فقد عذبه الله بالصدود ولم يزح عن صدره ثقل الهموم

---

(١) اللجوج: الملح ـ خف: ارتحل مسرعاً ـ القطين: أهل الدار.
(٢) الأكناف: جمع كنف وهو الجانب
(٣) القلى: البغض.

والأحزان، ثم يرجو أحبابه ألا يصدوه حتى لا يشمتوا به الأعداء إن كان قد أحب غيرهم أحداً:

أقصيتُمُوني من بعدِ فرقتِكُم
فخَبِّرُوني علامَ إقصائي
عَذَّبَنِي الله بالصدودِ ولا
فَرَّجَ عني همومَ بلوائي
إن كنتُ أحببتُ حُبَّكُم أحداً
أو كان ذاك الكلامُ من رائي(١)
فلا تصُدُّوا فليس ذا حسناً
أن تُشمتوا بالصُّدودِ أعدائي

ويلجأ ديك الجن أحياناً كثيرة إلى الغزل بالمذكر إلى جانب ما ذكرناه من قطع غزلية تحدث فيها عن الجمال الأنثوي، وها هو يقول في غلام بدأ ظهور شعر عارضيه مشيراً إلى أنه سيقع في الإثم والخطيئة:

وقالوا قد توشَّح عارضَاهُ
فقلت الآن أوضِعُ في الأثامِ(٢)

وتتشابه الكائنات الحية بنظر ديك الجن، دون مقياس محدد للجمال، لذلك فإن غايته مباشرة اللذة، فكل من يمشي

---

(١) الراء: الرأي.

(٢) توشح: لبس الوشاح والمراد ظهور الشعر ـ أوضع: أسرع.

على الأرض يراه جميلاً، وذلك إسراف في القول ما بعده إسراف، وتكالب على ملذات الجسد دون تبصر وتعقل:

خَدُّ ما يُنكح عندي
حيوانٌ فيه روح
أنا من قولي مليحٌ
أو قبيحٌ مستريحُ
كُلُّ من يمشي على وجـ
ـه الثرى عندي مليحُ

وله في هذا المعنى تقريباً بيتان آخران:

أعشقُ المُرْدَ والنكاريشَ والشِّيب
وعندي مثل البنينَ البناتُ[1]
خَدُّ ما يُشْتَهَى ويُعْشَقُ عندي
حَيوانٌ تَحلُّ فيه الحياةُ

فديك الجن يصرح علناً بأنه يعشق الغلمان المرد والصبيان الملتحين، ولا يفرق في الحب والغرام بين الفتيات والفتيان، فمذهبه في اللذة أن يشتهي ويعشق أي نوع كان من حيوان الأرض شرط أن تنبض في عروقه الحياة.

---

(١) النكاريش: جمع نكريش وهي من الفارسية ـ بمعنى الملتحي أو ذي اللحية الجميلة.

وكان ديك الجن يهوى غلاماً من أهل حمص يقال له بكر بن دهمرد، وفيه يقول وقد جلسا يتحدثان إلى أن غاب القمر:

دع البـدرَ فـليغـربْ فـأنـت لنـا بـدرُ
إذا مـا تَجلَّى مـن محـاسِنـكَ الفـجـرُ
وإمـا انـقضـى سِحْـرُ الـذيـن بِبـابِـلٍ
فَـطَرْفُـكَ لي سِحْـرٌ وريقُـكَ لي خمـرُ
ولـو قيـل لي: قُمْ وَادْعُ أحسن من تـرى
لَصِحْتُ بـأعلى الصوت يـا بكْـرُ، يـا بكْـرُ

فبكر بالنسبة للشاعر بدر منير، يغرب بدر السماء، أمام طلعته وتجليه، إنه أحسن وأجمل من رأى في حياته، فطرفه سحر الشاعر وريقه خمرته المفضلة المعتقة.

وغلام الشاعر هذا كان شديد التمنع والتصون، إلا أن قوماً من أهل حمص احتالوا عليه وأخرجوه إلى متنزه لهم يعرف بميماس فأسكروه ونالوا منه جميعاً، وبلغ ديك الجن الخبر فقال فيه قصيدة منها هذه الأبيات:

قُـلْ لِهَضِيـمِ الـكَشْـحِ مـيـاسِ
انـتقضَ الـعهـدُ مـن الـنـاس[1]
يـا طـلعـةَ الآسِ الـتـي لـم تَـمِـدْ
إلا أَذَلَّـتْ قُـضُـبَ الآسِ

(١) هضيم الكشح: ضامر الخصر - مياس: متبختر.

وَثِـقْـتَ بـالـكـأسِ وشُـرَّابِـهَـا
وحَـتْـفُ أمـثـالِـكَ فـي الـكـاس

ونكتفي إلى هنا بهذا القدر من غزل ديك الجن، وهو يكشف عن مذهبه وسلوكه في الحياة.

٦ ـ الشعر الخمري

أقبل ديك الجن على الخمرة بلهفة ونهم، وعب من دنانها وكؤوسها حتى صار ماجناً خليعاً عاكفاً على القصف واللهو والعبث، وقد ذكرها كثيراً في شعره، فوصفها وتحدث عن تأثيرها في نفسه وأشار إلى ألوانها ومجالسها، فهي حمراء تحاكي وجنة المعشوق وشقائق النعمان، وإذا مزجت بالماء أضحت نرجسية صفراء كلون العاشق المتيم:

وحمراءَ قبلَ المزجِ صفراءَ بعْدَهُ
بدت بينَ ثَوْبَيْ نَرْجِسٍ وشقائِقِ

حكَتْ وجنةَ المعشوقِ صِرْفاً فسَلَّطُوا
عليها مزاجاً فاكتستْ لَوْنَ عَاشِقِ

وله من قصيدة يخاطب فيها ساقياً وساقية:

أفديكُما من حامِلَيْ قَدَحينِ
قمرينِ في غُصْنَينِ في دِعْصَينِ[1]

صُبَّا عَليَّ الراحَ إن هلالَنا
قد صَبَّ نِعمتَهُ على الثَّقلينِ

---

(١) دعص: كثيب الرمل.

وإلَـي كـأسَـكُـمـا علـى مـا خَـيَّـلَتْ

بـالـتـبـرِ مَـعْـجـونـاً بـمـاءِ لـجـيـنِ

فهو يطلب منهما أن يصبا له كأساً من الخمر، تشبه التبر معجوناً بماء الذهب اللماع. ويتحدث في قصيدة من ستة أبيات عن مجلس خمري، غرق في حلباته، فبعد أن يدعو إلى معاقرة الخمرة ليل نهار، يشير إلى الكأس التي يحملها الساقي وقد أوشكت أن تحرق يده، وهي تتلألأ لمعاناً وبريقاً وكأنما استعار لونها من خده وأدارهاعلى الجالسين الذين ظلوا يستلون روحها وهي تأخذ من أقدامهم ثأرها:

بـهـا غَـيْـر مَـعْـذُورٍ فـدارِ خـمـارَهـا

وصِـلْ بعشيَّـاتِ الغبـوقِ ابتكـارَهـا[1]

وَقُمْ أنتَ فـاحْثثْ كـأسَهـا غير صـاغِـرٍ

ولا تَـسْـقِ إلا خَـمْـرهـا وَعُـقـارَهَـا

فـقـامَ تـكـادُ الـكـأسُ تَـحْـرقُ كَـفَّـهُ

من الشمس أو من وجـنتيـه استـعـارَهـا

مُـشَـعْـشَـعـةٌ مـن كَـفِّ ظَبـيٍ كـأنـمـا

تـنـاولَـهـا مـن خَـدِّهِ فـأدارهـا

ظَـلِلْنَـا بـأيـدينـا نُـتَـعْـتِـعُ رُوحـهـا

وتـأخُـذُ من أقـدامِنـا الـراحُ ثـارَهـا

(١) الغبوق: شرب المساء ويقابله الصباح.

وفي مقطوعة من ثلاثة أبيات يشير الشاعر إلى الخمرة وقد انبعثت منها روائح المسك والعنبر، وهي تتألق بلونها الوردي، يحملها ساق مهفهف جميل مورد الخدين حتى ليبدو وكأن الخمرة قد اعتُصِرت منهما:

وَقَهوةٍ كوكَبُهَا يَزْهَرُ
يَنْفَحُ منها المِسْكُ والعنبرُ[1]
وَرْديةٌ يحْمِلُهَا مِثْلُهَا
كأنما من خَدِّهِ تُعْصَرُ
مُهَفْهَفٌ لم يبتسِمْ ضاحكاً
مُذْ كان إلا كَسَدَ الجوهَرُ

ويتحدث في أبيات أخرى من الديوان عن أثر الخمرة وانعكاساتها على نفسه وعلى الأشياء:

واستلَّ رَاحاً كبيض صادَفَتْ حجفا
خلائقاً أو كنارٍ صدفت سعفا[2]
صفراء. فاصفرت فأنت ترى
ذوباً من التبر رصوا فوقه الشرفا[3]

(١) القهوة: الخمر ـ يزهر: يلمع.
(٢) راح: الخمرة ـ بيض: سيوف ـ حجفاً: تروساً ـ خلائق: بالية.
(٣) هكذا وردت في الديوان ناقصة.

فلم أزل من ثلاث واثنتين ومن
خمس وست وما استعلى وما لطفا
حتى توهمت نو شروان لي خولاً
وخلت، أن نديمي عَاشَر الخلفا

فالخمرة التي استلها الساقي ذات تأثير بعيد، فهي كنار تلتهم سعف النخيل وسيوف تمزق التروس الخلقة، لونها أصفر كالتبر الذائب، ولقد استهوت الشاعر فعكف على تناولها بنهم، وقد بلغ ما شربه ست كؤوس حتى فقد رشده وتخيل أن كسرى أنو شروان عبداً له ومن حاشيته، وظن أن نديمه في الشراب قد نادم الخلفاء.

وأسمعه في هذين البيتين يطلب من غلام سكر بجماله أن يثني طرفه عنه، لأن الخمرة قد ملكت عليه قلبه ومشاعره، وهو لا يحتمل في هذه الحالة سكرين ولا يمكن أن يفيق منهما، سكر الهوى والعشق وسكر المدامة:
خُذْ يا غلامُ عنانَ طَرْفِكَ فاثْنِهِ
عني فقد مَلَكَ الشَّمُولُ عنانِي[1]
سُكْرانِ: سُكْرُ هوى وسكرُ مدامةٍ
أنى يفيق فتى به سُكْرانِ

(١) الشمول: الخمر.

٧ ـ الوصف

كان ديك الجن مقلاً في فن الوصف، ولولا أبيات متناثرة عبر الديوان لما كنا وقعنا على شيء، ففي مقطوعة صغيرة من خمسة أبيات يصف رجلاً قد امتلكه الحزن وملأ فؤاده، وخيم عليه القلق والتململ وهو يحاول مداواة السهاد الذي يعتريه ولا ينفك يبكي بغزارة حتى رق له الجلاس، وكان فؤاده مضطرباً كأنه لسان أفعى، وأصوات أضلعه كأصوات قطع النقد المضروبة عندما يعدها الصرافون:

ومـمـلوءٍ مـن الـحـزنِ
يُـعـالـج سـوْرَةَ الأرَقِ[1]

تـكـادُ غـروبُ مُـقْـلَتِـه
تَـعُـم الأرضَ بـالـغَـرقِ[2]

ويـسـتـولـي تـزفُّـرُهُ
عـلى الـجُـلَّاسِ بـالـحُـرَقِ

---

(١) سورة: شدة ـ الأرق: السهاد.

(٢) غروب: جمع غرب وهو سيل الدمع الذي لا ينقطع.

كـأن فـؤادَهُ قَـلِقـاً
لـسـانُ الـحـيـةِ الـفَـرِقِ
وأضـلُعُـهُ لِـقـضـقـضـةٍ
صَـيـارِفُ حَـاسِـبـو وَرقِ[1]

وفي مكان آخر من الديوان يصف ديكاً عبر قصيدة جمع فيها إلى الوصف الغزل والشعر الخمري، فهو يرى أن الديك عندما يحث بتغريده الناس على النهوض للحياة يشبه راهب الأسحار الذي يحيي الليل تعبداً وابتهالاً، ويدعو الناس في السحر إلى الصلاة، وهذا الديك الذي يشير إليه الشاعر اصطبغ عرفه باللون الأحمر القاني وبدا على رأسه كدرة التاج على رأس السلطان، تبدو أذناه كحبتي عقيق تتدليان فوق مذبحه:

أمـا تـرى راهِـب الأسحـارِ قـد هـتفـا
وحَـثَّ تغـريـدَه لـمـا عـلا الشَّعَفَـا[2]
أوفى بصبـغِ أبي قـابـوس مفـرِقُـهُ
كـدرَّةِ التـاجِ لمـا أنْ عـلا شَـرَفَـا[3]

(١) الورق: الدراهم المضروبة.
(٢) الشعف: جمع شعفة وهي رأس الجبل.
(٣) صبغ أبي قابوس تعني شقائق النعمان.

مُـشَنَّـفٌ بعـقيـقٍ فـوق مَـذْبَـحِـهِ
هـل كنت في غيـر أُذْنٍ تعـرف الشُّنُفَـا

ثم يتابع ديك الجن مستقصياً دقائق حركات الديك وهو يهز عرفه تيهاً نافضاً آخر ما يعتريه من نعاس، وهو يتحرك ثم يعلو حتى جذب تغريده المغنين والشاربين فارتاحوا على أنغامه وألحانه:

هـز الـلواءَ عـلى مـا كـان مـن سِنَـةٍ
فـارتَـجَّ ثـم عـلا واهتـزَّ ثـم هَـفـا
ثـم استـمـرَّ كـمـا غـنى عـلى طَـرَبٍ
مِـرِّيحُ شـرب على تغريـدِه، وضَفَـا[1]

وللشاعر بيت واحد يصف فيه مجلساً فيقول:

كـأنـمـا الـبـيـتُ بـريـحـانِـهِ
ثـوبٌ من الـسـنْـدُسِ مـشْـقـوق

فالبيت الذي يتحدث عنه ديك الجن هو مجلس عامر، يبدو بما يحويه من وجوه مشرقة عطرة كالريحان ثوباً من السندس الأخضر المشقوق الجميل.

ويصف في بيت واحد سرباً من الحباريات:

---

(١) المريح: الشديد المرح ـ الشرب: القوم الشاربون ـ ضفا: إستطال مستمراً.

وسِـرْبِ حُـباريـاتٍ فـوقَ طَـرْدٍ
أشـبـهـهـا بـمـشْـيـخَـةٍ جـلوسٍ[1]

فسرب الحباريات يبدو بلونه الأبيض فوق جبل كشيوخ جالسين، والحباريات طيور أكبر حجماً من الدجاج وأطول منها عنقاً.

وقال يصف كثير التقلب في البلدان:

فـتـى يـنـصـبُّ فـي ثـغـرِ الـلـيـالـي
كـمـا ينصَبُّ في المُـقَـلِ الـسَّـوادُ

---

(١) الحباريات: جمع حبارى، وهو طائر أكبر من الدجاج وأطول عنقاً ـ الطود: الجبل ـ المشيخة: أحد جموع الشيوخ.

٨ ـ الحكمة

في ديوان ديك الجن الحمصي بعض الومضات الحكمية، ويبدو ذلك واضحاً في قصيدة لامية ينصح من خلالها الإنسان بأن يسعى للمعالي، وأن يتكيف في تصرفاته وعلاقاته حسب المناسب، وأن يغيث المحتاجين ويستغيث برب العالمين في ليالي الشدة والبلاء، وأن لا يستسلم للضيم والهوان ولا يستكين للحاجة والفقر، كما عليه أن يقتحم الأهوال ويواجه الموت برباطة جأش عندما يكون أفضل للإنسان من حياة الذل والاستعباد:

أَحْلُ وامْرُرْ وَضُرَّ وانفعْ وَلِنْ
واخشُنْ وَرِشْ وابرِ وانتدِبْ للمعالي

وَأغِثْ واسْتَغِثْ بِرَبِّكَ في الأ
زْلِ إذا جَلَّحَتْ صُرُوفُ الليالِي[1]

لا تَقِفْ للزمانِ في منزِل الضيـ
ـمِ ولا تستكِنْ لِرِقَّةِ حَالِ

(١) الأزل: الضيق والشدة ـ جلحت: هجمت.

وإذا خِفْتَ أن يُرَاهِقَكَ العُدْ
مُ فَعُذْ بالمُثَقَّفَاتِ العَوالِي[1]
وَأَهِنْ نَفْسَكَ الكريمةَ للمو
تِ وَقَحِّمْ بها على الأَهْوَالِ
فلعمري للموتُ أَزْيَنُ للحـ
ـي من الضُّرِّ ضارعاً لِلرِّجَالِ

ثم يتابع الشاعر مبيناً أن مد اليد للناس وطلب الحاجة منهم فيه امتهان للكرامة وللعزة، وإذا ما عصف الدهر بأهل الكرم والجود فإن الناس ينقرضون، وتذوب سحائب الفضل والسخاء وتزول المكرمات، وقليلون أولئك الذين يصونون أعراضهم بالمال:

أَيُّ ماءٍ يدورُ في وَجْهِكَ الحُـ
ـر إذا ما امْتَهَنْتَهُ بالسؤال
ثم لا سيما إذا عصفَ الدهـ
ـرُ بأهلِ الندى وأهلِ النوالِ
غاضَتِ المكرماتُ وانقرض النا
سُ وبادت سحائبُ الإفْضَالِ

(١) راهق: داني وقارب ـ العدم: الفقر ـ المثقفات: الرماح.

فقليلٌ من الورى من تراهُ
يُرْتَجى أو يصونُ عِرَضاً بمال

وفي مكان آخر من القصيدة يخاطب الشاعر الإنسان أي إنسان، فهو لا يحب أن يراه في أيام الشدة سالكاً طريق الضلال والغي، مستكيناً مطأطىء الرأس ذلاً وهواناً في إقباله وإدباره أمام الأغنياء، ثم يخيره بين أمرين، إما أن يشهر سيفه ليحظى بالرزق، وإما أن يموت هزيل الجسم والكرامة:

لا أُحِبُّ الفتى أراهُ إذا ما
عضَّهُ الدهرُ جَائِماً في الضَّلالِ
مستكيناً لدى الغني خاضِعَ الطـ
ـرفِ ذليلَ الإدبارِ والإقبال
ذهب الناسُ فاطلبِ الرزقَ بالسيـ
ـفِ وإلا فَمُتْ شديدَ الهُزَالِ

وفي مقطوعة من أربعة أبيات يدعو الشاعر الإنسان إلى التمتع بنعيم الدنيا، لأنه سيفنى يوماً ما وهو رهن الحوادث أسير تقلبات الأيام، لذلك يجب ألا يؤجل لهو اليوم إلى غد، لأن الدهر سرعان ما ينقل الفتى من حال إلى حال، وتمضي أيامه كحلم نائم:

تمتع من الدنيا فإنك فانِ
وإنك في أيدي الحوادثِ عَانِ

ولا تـنـظرنَّ اليـومَ لـهـواً إلـى غـدٍ
ومـن لـغـدٍ مـن حـادثٍ بـأمـان
فـإني رأيتُ الـدهـر يُسْـرِعُ بـالفتى
ويـنـقـلُه حـالـيـن يـخـتـلفـان
فـأمـا الـذي يمضي فـأحـلامُ نـائمٍ
وأمـا الـذي يـبـقـى لـه فـأمـانـي

ويدعو الشاعر الإنسان في بيتين آخرين إلى أخذ ما صفا وراق من الزمان وترك ما يكدر وينغص، فالعمر قصير ولا يجب أن نفنيه في المحن والآلام:

خُـذْ مـن زَمـانِـكَ مـا صَـفَـا
ودعِ الـذي فـيـه الـكَـدَرْ
فـالـعـمـرُ أقـصـرُ مـدةً
مـن أن يُـمَـحَّص بـالـغِـيـرْ

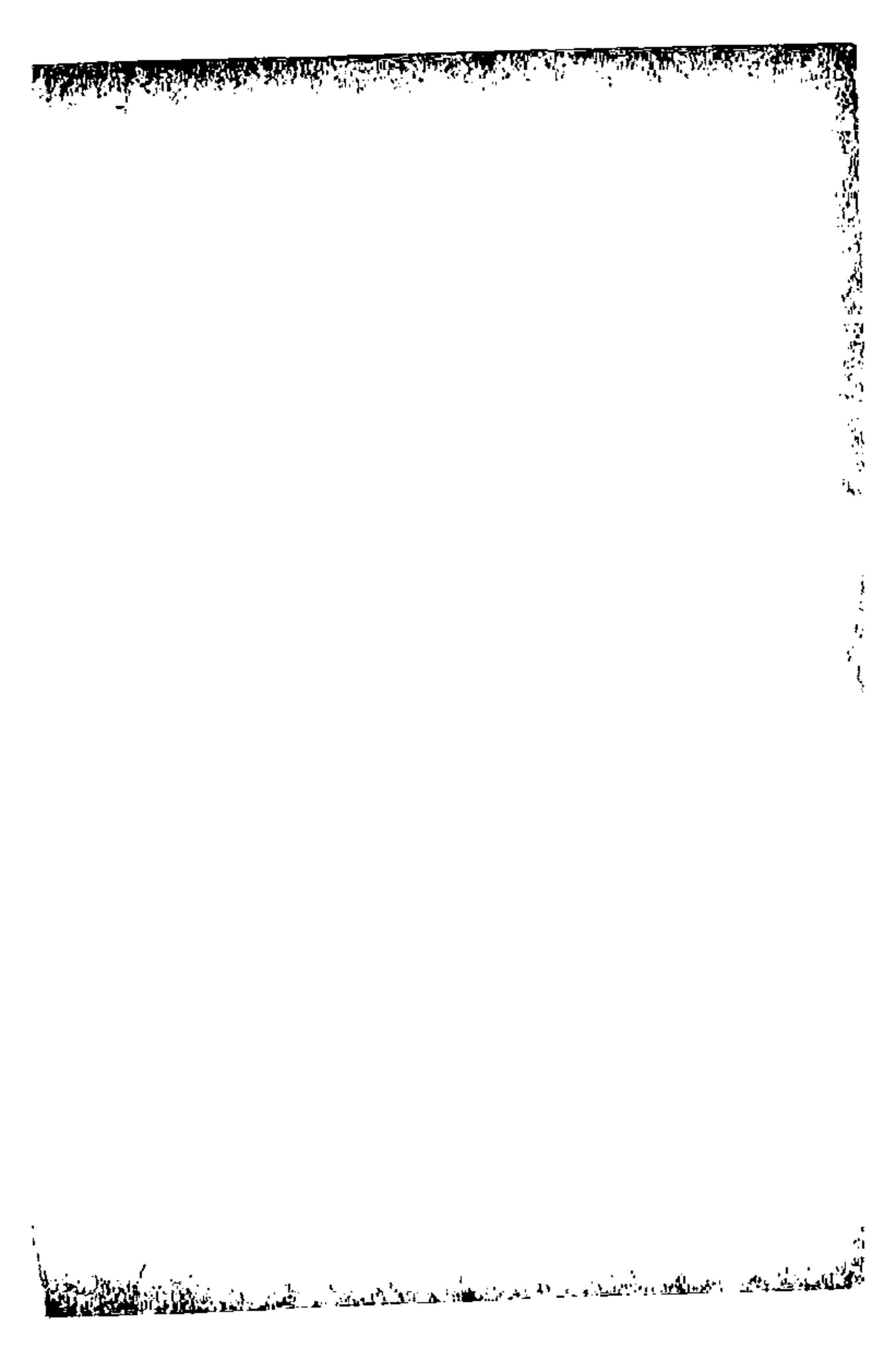
وقال في الدهر والناس:

يـرقُـد الـنـاسُ آمنـينَ وريـبُ الـدهـ
ـرِ يـرعـاهُـم بـمـقـلةٍ لِصِّ

وفي جهل الإنسان وقت موته:

الـنـاسُ قـد عـلمـوا أن لا بـقـاءَ لـهم
لـو أنـهـم عـملوا مـقـدارَ مـا عـلمـوا

لمحة حول أسلوب
ديك الجن



لمحة عامة حول أسلوب ديك الجن:

ديك الجن شاعر فحل، وهو وإن لم يدخل قصور الخلفاء والوزراء ـ في عصر تقاطر فيه معظم الشعراء على التكسب ـ فإنه دخل التاريخ من بابه العريض.

وحسبه فخراً أنه لم يبع شعره في سوق الدلالين، ولم يرق ماء وجهه على أعتاب الملوك والجبارين.

وشعره من النوع الجيد، وهو كما ذكرنا باعتراف أبي نواس ودعبل وغيرهما أنه فتن أهل العراق بشعره وأنه أشعر أهل الجن والإنس.

وأسلوب ديك الجن جميل وواضح ومتين وهو شاعر مجيد متمكن ممسك بأسباب الإتقان، شعره رقيق النسج عذب الإيقاع.

وديك الجن ممسك بزمام فحولة القول وجلال المعنى في مختلف أبواب الشعر، وإذا كان القول في الرثاء محكاً صادقاً لفحولة الشعراء لما يتطلبه الموقف من جلال المعاني ودقتها، وصدق الصور وحرارة المشاعر وتوليد الحكم وجزالة الأسلوب، فإن ديك الجن لا يقصر في هذا المجال، بل إنه

يجيد ويبرز ويتفوق حتى عده كثير من النقاد والدارسين من كبار شعراء الرثاء.

وهو وإن كان قد اعتمد على معاني السابقين فاقتبسها وحسنها، فإن غيره من كبار الشعراء اللاحقين قد اعتمدوا عليه واقتبسوا معانيه وصيغه، وكان في مقدمة هؤلاء المقتبسين أبو الطيب المتنبي، الذي نحس بالكثير من معاني الحكمة عند ديك الجن صارخة في شعره، ومن ذلك قول ديك الجن:

وإنـــي بـــريء من أخـــي وانـــتـــســـابـــه
إلـي إذا ألـفـيـت فـي طـبـعـه بـخــلا

فــإن لم تكن بــالــطبــع نفس كــريمــة
وإن كــرم الآبــاء لــم أره فــضــلا

أخذه المتنبي في قوله:

وآنـــف مـــن أخـــي لأبـــي وأمـــي
إذا مـــا لـــم أجـــده مـــن الـــكـــرام

ولـــســـت بـــقـــانـــع من كـــل فـــضـــل
بـــأن أعـــزى إلـــى جـــد هـــمـــام

وقال ديك الجن هذين البيتين الرائعين:

لـقـد أحـللت ســرك مـن ضـمـيــري
مــكـــانــاً لا يـحس بـــه الــضــمــيـــر

فـمـــات بـحيـث مـــا سـمـعـتـــه أذن
فــلا يـــرجـــى لـــه أبـــداً نـشـــور

فأخذهما المتنبي ونسج عليهما:

وسرك بين الحشا ميت
إذا نشر السر لا ينشر

وهذا البيت الذي يردده علماء الصناعة لاحتوائه خمسة تشبيهات دفعة واحدة:

وأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت
ورداً وعضت على العناب بالبرد

أخذ الوأواء الدمشقي بعض معانيه من بيت ديك الجن:

وحاذرت أعين الواشين فانصرفت
تعض من غيظها العناب بالبرد

وفي شعر ديك الجن نلمح أن مظاهر الصنعة والتجديد كثيرة متنوعة، بل إنها تكاد تكون أكثر ظهوراً وأشد وضوحاً عنده منها عند الشعراء المشهورين، وسوف نسوق بعض أنماطها في مظهرين اثنين، مظهر الشكل والصيغة ومظهر الصورة والمحتوى:

فمن ناحية الشكل والصيغة، نراه يعمد إلى إحياء بعض أبياته بضروب من الجرس الموسيقي وألوان من الإيقاع الجميل، وربما كان الترصيع أقرب هذه الألوان إلى ذوق ديك الجن مثال قوله:

خُـــر الإهــاب وســيــمــه، بَــرُّ الإيــا
ب كــريـمــه، محض النصــاب صميمــه

أو قوله:

إن الـعــلا شيـمي، والبــأس من نـقمـي
والمجـد خلط دمي، والصـدق حشـو فمي

كما يعمد ديك الجن إلى التجنيس، وهو في تجنيسه وطباقه صانع بارع، يسوق إليك زخرفتـه في غير تعسف أو إسفاف، بل في ثـوب من الكلمات النـاعمة المتـرفة ذوات الجرس الفخم والإيقاع المنغم مثل قوله:

نـبـهـتــه والـنــدامــى طــال مـكــثـهــم
فـقلت قـم واكفـنــا الهـم الــذي وكـفــا
واصــرف بصــرفـك وجـه الهم يـومـك ذا
حـتى تــرى نــائـمــاً منـهم ومـنصــرفــا

وأهم قضية قدمها ديك الجن في نطاق الشكل والصوغ هي تدخله في صميم الأوزان والقوافي، واللعب بهـا لعب الفنان الحاذق الذي شكل بصيغته هذه مرحلة من مراحل نشأة الموشحة في الشعر العربي، كما يبدو من هذه الأبيات التي قالها في زوجه التي قتلها:

قــولــي لــطـيـفــك يـنـثـنــي
عـن مضـجعـي عـنــد الـمـنــام

عند الرقاد عند الهجوعْ

عند الهجود عند الوسن

فعسى أنام وتنطفي

نار تأجج في العظام

في الفؤاد، في الضلوعْ

في الكبود في البدن

جسد تقلبه الأكف

على فراش من سقام

من قتاد، من دموع

من وقود، من حزن

أما أنا فكما علمتِ

فهل لوصلك من دوام

من معاد، من رجوعْ

من وجود من ثمن

وهنا ذهب التجديد في الشكل بديك الجن مذهباً بعيداً فجعله ينفلت من وزن البيت التقليدي إلى هذا الشكل الذي أمامنا. والذي شكل مرحلة من مراحل نشأة الموشحات العربية وهي في طريقها إلى الأرض الأندلسية. بل إنني أرى أن هذا الشكل قريب من نتاج بعض شعراء المهجر في العصر الحديث.

والحقيقة أن هذه القصيدة بالغة الأهمية، إذ لم يصدف أن أبدع شاعر قديم على غرارها شكلاً وصياغة.

وإذا ما انتقلنا من إطار الشكل والصيغة إلى إطار الصورة والمحتوى، اكتشفنا في ديك الجن أصالة الشاعر الفنان، المبدع المؤثر، ويتجلى ذلك في وصفه للديك، إذ رسم صورة متحركة ناطقة تضمنت حركة وغناء وطرباً وقد ذكرنا شيئاً من قصيدة الديك في باب الوصف، ويعتبر من خلالها رائداً في رسم الصورة الشعرية الملونة المتحركة، وقد بلغت أبياته حد الإتقان بحيث أصبحت مثالاً يحتذى عند الشعراء الذين أتوا بعده.

ولديك الجن صورة أخرى فكهة رسمها لديك آخر، ولكنه ديك عجوز قدم طعاماً في مأدبة أقامها عمير بن جعفر، كان ديك الجن مدعواً إليها، ولعل الحوار الذي أجراه الديك الشاعر مع الديك المذبوح من أطرف أنواع الحوار وأمتعه فيما لو وجد حوار مماثل من هذا القبيل.

وهكذا فإن ديك الجن رغم مجونه ورغم بعده عن العاصمة بغداد منتجع الشعراء فإن شاعريته كانت من الخصوبة فناً وإنتاجاً وتنوعاً ومحافظة وتجديداً بحيث فرضت نفسها على معاصريه من ساكني بغداد، ثم صارت مثلاً يحتذى عند كبار الشعراء العرب الذين برزوا بعده.

نماذج من شعر ديك الجن

- في رثاء زوجته ورد
- في رثاء آل البيت
- في رثاء فاطمة الزهراء
- في الغزل
- في مدح علي أمير المؤمنين
- في الفخر
- في الحكمة



في رثاء زوجته ورد بعد أن ندم على قتلها

أساكن حفرةٍ وقرارَ لحدِ
مفارقَ خلةٍ من بعد عهدِ
أجبني إن قدرت على جَوابِي
بحقِ الودِّ كيف ظللتَ بعدي
وأين حللتَ بعد حلولِ قلبِي
وأحشائي وأضلاعي وكبدي
أما والله لو عانيتَ وجدِي
إذا استعبرتُ في الظلماءِ وحْدِي
وَجَدَّ تنفُّسي وعلا زَفِيري
وفاضَتْ عَبْرَتِي في صحنِ خَدي
إذن لعلمت أني عن قريبٍ
ستُحْفَرُ حُفْرَتِي وَيُشَقُّ لحدِي
ويعذلني السفيهُ على بُكَائي
كأني مُبْتَلى بالحزنِ وحْدِي

يقـول: قـتلتهـا سفهـاً وجهـلاً
وتبـكـيهـا بُـكـاءً ليس يُـجْـدِي
كـصيـادِ الـطيـورِ لـه انـتـحـابٌ
عـليهـا وهـو يَـذْبَـحُـهَـا بـحـدٍّ

في رثاء ديك

وقال يرثي ديكاً لعمير وبه لقب ديك الجن كما تذكر إحدى الروايات:

دعـانـا أبـو عَمْـرٍو عميـرُ بن جعفـرٍ
على لحم ديـكٍ دعـوةً بعـد موعـد

فـقـدم ديـكـاً عُـدَّ دهـراً ذملقـاً
مـؤنس أبـيـات مـؤذن مـسـجـدِ

يـحـدثُنَـا عن قـومِ هُـودٍ وصَـالِحٍ
وأغـرب مـا لاقـاهُ عـمـرو بن مـرثـدِ

وقـال لـقـد سبَّـحْتُ دهـراً مـهـلِّلاً
وأسـهـرتُ بـالـتـأذيـنِ أعْـيُـنَ هُـجَّـدِ

أيُـذْبَـحُ بـيـن الـمـسـلمـيـن مُـؤذِّنٌ
مـقـيـمٌ على ديـن الـنـبـي مـحـمـد

فـقـلـت لـه: يـا ديـكُ إنـك صـادِقٌ
وإنـك فـيـمـا قـلت غـيـرُ مُـفَـنَّـدِ

ولا ذَنْبَ لـلأضيـافِ إن نَـالَـكَ الـردى
فـإن الـمَـنـايـا لـلدُّيـوكِ بـمـرصَـدِ

في رثاء أهل البيت

يـا عـيـنُ لا لـلـغَـضَـا ولا الـكُـتُـبِ
بُـكَـا الـرزايـا سـوى بـكـا الـطَرَبِ
جُـودِي وجِـدِّي بـمـلء جَـفْـنِـكِ ثـم
احـتـفـلي بـالـدمـوعِ وانـسـكـبِـي
يـا عـيـنُ فـي كـربـلا مـقـابـرُ قـد
تـركْـنَ فـؤادي مـقـابِـر الـكُـربِ
مـقـابـر تـحـتـهـا مـنـابِـرُ مـن
عِـلمٍ وحـلم ومـنـظرٍ عَـجَـبِ
مـن الـبـهـالـيـلِ آل فـاطـمـةٍ
أهـلِ الـمـعـالي والـسـادة الـنُّـجُـبِ
كـم شَـرِقَـتْ مـنـهـم الـسـيـوفُ وكـم
رُوِّيَـتِ الأرضُ مـن دم سـرِبِ
نـفـسـي فـداءٌ لـكـم ومـن لـكـم
نـفـسـي وأمـي وأُسـرتـي وأبـي

لا تَـبْـعَـدُوا يـا بـنـي الــنـبـي عــلى

أن قــد بَــعُــدْتُــمْ والــدهــرُ ذو نُــوَبِ

يـا نـفسُ لا تــسـأمـي ولا تَـضِـقِـي

وارسي على الـخـطبِ رَسْـوَةَ الهُـضُـبِ

صُــونِي شُعَـاعَ الـضمـيـرِ واستشعِـري

الـصبـر وحُـسْنَ الـعـزاءِ واحـتـسِـبـي

فــالـخلقُ في الأرضِ يـعــجلونَ ومــو

لاكَ عــلى تَــؤدٍ ومُــرْتَــقَــبِ

لا بــد أن يُـحْـشَـر الـقـتـيـلُ وأن

يُــسْــألَ ذو قـتـله عــن الـسـبـبِ

فــالــويــلُ والــنــارُ والــثـبـورُ لــمــن

قــد أســلمـوه لــلجـمـرِ والــلهـبِ

في رثاء فاطمة الزهراء

يـا قـبـر فـاطمـةَ الـذِي مـا مـثـلُهُ
قـبـرٌ بـطـيـبـةَ طـاب فـيـه مـبِيتَـا
إذ فيـكَ حلتْ بِضْعَـةُ الـهـادي التـي
تـجـلى مـحـاسِنَ وجـهـهـا حُـلِّيتـا
إن تَنْـأَ عنـه فـمـا نـأيتَ تَبـاعُـدَاً
أو لـم تَـبِـنْ بـذْرَاً فـمـا أخـفـيـتـا
فسقى ثـراكَ الغيثُ مـا بَقِيَتْ بـه
لُـمَـعُ الـقـبـورِ بـطـيـبـةٍ وبـقـيـتـا
فـلـقـد بـريـاهـا ظللتَ مُـطَيَّـبـاً
تَسْتَـافُ مِـسْكـاً فـي الأنـوفِ فَتِيتَـا
ولـقـد تـأملتُ الـقـبـور وأهـلـهـا
فـتـشـتـتـتْ فِـكْـري بـهـا تـشـتـيـتـا
كـم مُقْـربٍ مُـقْصـى وكم مُـتبـاعِـد
مُـدْنى، فسـاوَرَتِ الحشـا عِفْـرِيتـا

في الغــزل

وحــيــاةِ ظـبــي لــم أصُــمْ عــن ذكــرهِ

إلا عــضـضــتُ تــنــدمــاً إبــهــامــي

لأشَــافِـهَـنَّ مــن الــذنــوبِ عــظـائــمــاً

يــنـقــدُّ عــنــهــا جِــلْدُ كــل صِــيــامِ

وقال:

فــوق خَــدَّيَّ لُــجَّــةٌ مــن دمــوع

يــغــرقُ الــوَجْــدُ بــيــنــهــا والــســلامُ

وله:

وعــزيــزٍ بــيــن الــدلالِ وبــيــن الـ

ـمُــلْكِ فــارقْــتُــهُ عــلى رَغْــمِ أنْــفِــي

لــم أكــن أعْــلِمُ الــزمــانَ بِــحُــبــيـ

ـه فــيــجــنــي فــيــه عــليَّ بِــصَــرْفِ

صُــنْــتُ عــن أكــثــري هــواه يــعــ

ـلمُ مــا بــي إلا فــؤادي وطَــرْفِــي

وله في الغزل والخمرة:

مولاتُنا يا غلامُ مبتكِرَةْ
فباكِرِ الكأس لي بلا نَظِرَه

غَدتْ إلى للهو والمجونِ على
أن الفتاةَ الحييةُ الخَفِرَةْ

لحبِّها لاَعِجٌ وبي حُرَقٌ
مطويَّةٌ في الحشا ومُنتَثِره

ما ذُقْتُ منها سوى مُقَبَّلِهَا
وَضمٍّ تلك الفُروعِ مُنْحَدِرَهْ

وانتهرتْنِي فَمتُّ من فَرَقٍ
يا حُسْنَها في الرِّضَا ومُنْتَهِرَهْ

ثم انثنتْ سوْرَةُ الخُمارِ بنا
خِلالَ تلك الغدائِرِ الخَمِرَه

وليلةٍ أشرفتْ بكلكلِها
عليَّ كالطيلسان مُعتجِره

فَتَقْتُ ديجورها إلى قمرٍ
أثوابُهُ بالعَفافِ مُسْتَتِره

عُجْ عَبَراتِ المُدامِ نحوي من
عَشْرٍ وعشْرين واثنتي عَشَره

وقال يفضل الحب الأخير:

إشــربْ على وجــهِ الحبيبِ المقبــلِ
وعـلى الفَـمِ المتبسـمِ الـمـتـقـبــل

شَــربــاً يُــذَكِّــرُ كُــلَّ حُــبٍّ آخِــرٍ
غَضٍّ ويُــنَــسِــي كــل حُــب أولِ

نـقــل فؤادكَ حيثُ شئت فـلن تـرى
كهــوىً جـديــدٍ أو كــوصــلٍ مُقْبِــلِ

قال في غلام له يدعى بكر بن دهمرد وهـو من أهل حمص، وكان الشاعر يهواه كثيراً:

دَعِ البَــدرَ فليـغـربْ فــأنتَ لـنــا بــدرُ
إذا مــا تجلى مـن محــاسِنِــكَ الفَـجْــرُ

وإمــا انـقضـى سِحْــرُ الــذيـن ببــابـلٍ
فــطرفُــكَ لي سِحْــرٌ وريقُــكَ لي خمــر

ولــو قيـل لي: قُمْ وادعُ أحسنَ من تــرى
لصحتُ بـأعلى الصـوتِ يـا بكـرُ يـا بكـرُ

وقال في الغزل والخمرة:

بـهــا غَـيْــر مَــعْــذورٍ فــداوِ خـمــارَهَــا
وَصِــلْ بعشيَّــاتِ الـغـبــوقِ ابتـكــارَهــا

وَقُمْ أنتَ فاحْثُثْ كأسَها غير صَاغِرٍ
ولا تسقِ إلا خمرَهَا وَعُقارَهَا

فقام تكادُ الكأسُ تحرقُ كَفَّهُ
من الشمسِ أو من وَجْنَتَيْهِ استعارها

مشعشعةً من كف ظبيٍ كأنما
تناوَلَها من خَدِّهِ فأدارها

ظَلِلْنَا بأيدينا نُتعْتِعُ روحها
وتأخذُ من أقدامنا الراحُ ثارَها

وَنَلْ من عظيمِ الوِزْرِ كُلَّ عظيمةٍ
إذا ذُكِرَتْ خافَ الحفيظانِ نَارَهَا

وقال:

وَمُزْرٍ بالقضيبِ إذا تَثَنَّى
وَعِزْهَاةٍ على القمرِ التمامِ

سقاني ثم قَبَّلَني وأوْمَى
بطَرْفٍ سُقْمُهُ يَشْفِي سقامي

فَبِتُّ له على النَّدْمان أُسْقَى
مُداماً في مُدامٍ في مُدامِ

وقال في نصرانية:

لمـا نـظرْتِ إلي عـن حَـدَقِ المـهـا
وبـسـمْـتِ عـن مـتـفـتـحِ النُّـوَّارِ

وعَـقـدْتِ بيـن قضيـبِ بَـانٍ أهْيَـفٍ
وكـثـيـبِ رَمْـلٍ عُـقْـدَةَ الـزُّنـارِ

عَفَّرْتُ خَـدِّي في الثرى لـك طـائعاً
وعـزمْـتُ فيـك عـلى دخـولِ النـار

في مدح علي أمير المؤمنين

أنسى علياً وتفنيدَ الغُواةِ له
وفي غدٍ يُعْرفُ الأَفَّاكُ والأشِرُ
من ذا الذي كلمتهُ البِيدُ والشجرُ
وسلم التربُ إذ ناداه والحَجَرُ
حتى إذا أبصر الأحياءُ من يمنٍ
بُرْهَانَهُ آمنوا من بعد ما كفروا
أم من حوى قصباتِ السَّبْقِ دونَهُمُ
يومَ القليبِ وفي أعناقِهم زَوَرُ
أم من رسا يوم أُحْدٍ ثابتاً قَدَمَاً
وفي حُنَيْنٍ وسلْعٍ بعدما عثروا
أم من غدا داحياً بابَ القموصِ لهم
وفاتحاً خيبراً من بعد ما كُسِرُوا
أليس قام رسولُ الله يخطُبهمْ
وقال: مولاكُمُ ذا أيها البشَرُ

أضَـبْـعَ غَـيْـرِ عـلي كـان رافِـعَـهُ
محمـدُ الـخيـرِ أم لا تَـعْقِـلُ الـحُـمُـرُ
دَعُـوا الـتـخَـبُّطَ في عـشـواءَ مُـظْلِمَـةٍ
لـم يَبْـدُ لا كـوكَـبٌ فيـهـا ولا قَـمَـرُ
الـحـقُّ أبـلجُ والأعـلامُ وَاضِـحَـةٌ
لـو آمَـنـتْ أنْفُسُ الـشـانِـيـنَ أو نَـظَرُوا

وقال من قصيدة مديح :

وعــزيــز يَـقْضِـي بـحـكـمـيـنِ فـي الــرا
حِ بــجــور وفـي الــهَــوَى بــمــحــالِ

لِــلنَّــقَــا رِدْفُــه ولــلخُــوطِ مــا حُــمِّـ
ـلَ لِـيـنـاً وجـيــدُه لــلغَــزالِ

فَــعَــلَتْ مــقـلتــاهُ بــالــصَّــبِّ مــا تــفـ
ـعـلُ جـدوى يـديـك بــالأمْــوَالِ

لــم تُــقَسْ بــالــذي عَــدَاكَ مــن الــخــلــ
ـقِ فمــا الشــامـخـاتُ مِثْـل الــرِّمَــالِ

وإذا شئت أن تــرى الــموتَ فـي صــو
رةِ لـيـثٍ فـي لَــبْــدَتَــيْ رِئْــبـالِ

فــالــقَــهُ غَــيْــر أنــمــا لِــبْــدَتَــاهُ
أبـيضٌ صَــارِمٌ واسْــمــرُ عَــالِ

تَــلْقَ لـيـثـاً قــد قُـلِّصَـتْ شَـفَـتَــاهُ
فَـيُــرَى ضَـاحِـكـاً لـعَـبْسِ الـصِـيـالِ

في الفخر

قال يفتخر بقبيلته كلب وهي إحدى القبائل العربية المعروفة:

كلبٌ قبيلِي وكلبٌ خيرُ من وَلَدَتْ
حَوَّاءُ من عَرَبٍ غُرٍّ ومن عَجَمِ

وعيَّرَتْنَا وما إن طُلَّ في أُحَدٍ
وطَلَّ في مؤتَةٍ والدينُ لم يرمِ

غداةَ مؤتةَ والإشراكُ مكتَهِلٌ
والدينُ أمْرَدُ لم يفعْ فيحتلمِ

ويومَ صفين من بعدِ الخريبةِ كم
دمٍ أُطِلَّ لنَصْرِ الدين إثْر دَمِ

وفي الفراتِ فداءَ السبطِ قد تُرِكَتْ
أشلاؤنا في الوغى لحماً على وَضَمِ

غَداةَ شالتْ من التقوى نعامتها
وآذنت صعقاتُ الحقِّ بالنقمِ

إن تعبسي لدمٍ منا هُريقَ بها
فقد حَقَنَّا دَمَ الإسلامِ فابتسمي

فاقْعُدْ وقُمْ عالماً أن لو تطوقها
بغيرِ أحمدَ لم تَقْعُدْ ولم تَقُمِ

أقامَ حِصنٌ عليهم حِصْنَ مكرمةٍ
يَرْتَجُّ طوداهُ بالنعمى وبالنِعَمِ

إذا غَدتْ خَيْلُهُم تَخْدِي بهم خَبباً
لنجدةٍ غَدَتِ الآجالَ في الخَذمِ

كم عَرَّضُوا أيدياً بيضاً مُكَرَّمَةً
لِلعُدْمِ من طولِ ما انتاشوا من العَدمِ

أُسْدٌ يَرونَ الردى المفضي بأنْفُسِهِمْ
إلى الثرى عُمُراً يُفْضِي إلى الهَرمِ

في الحكمة

أخا الرأيِ والتدبيرِ لا تَركَبِ الهَوى
فإن الهوى يُرْدِيكَ من حيثُ لا تَدرِي
ولا تَثِقَنْ بالغَانِياتِ وإنْ وَفَتْ
وفاءُ الغواني بالعُهودِ من الغَدْرِ

وقال:

ياذا الغِنَى والبُخْلِ ما لَكَ من غِنَى
وكذاك ياذا المالِ ما لك مَالُ
أَطْلِقْ يديك فإن بين يديك ما
يُرْدِيهما ووراء حالِكَ حَالُ
قد تَسْلَمُ الأوكالُ وهي مواكِلُ
للتَّرهاتِ وتُقْتَلُ الأبْطَالُ
ورجالُ هذيَ النائباتِ وإن رأوا
شَظَفاً من الأيامِ فهي رِجَالُ

ـ مصادر الدراسة ومراجعها

ـ المسعودي: مروج الذهب، بيروت ـ الدار الإسلامية.

ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، بيروت ـ دار صادر ـ ١٩٦٥ م.

ـ السيوطي: تاريخ الخلفاء.

ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، بيروت ـ دار صادر ـ سنة ١٩٦٦ م.

ـ ياقوت: معجم الأدباء، بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ـ ج/١٧

ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان، بيروت ـ دار الثقافة ـ ج/٢

ـ ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر، بيروت ـ دار الجيل ـ سنة ١٩٨١ م.

ـ الأصفهاني: كتاب الأغاني، بيروت ـ دار الثقافة ـ سنة ١٩٧٣ م، ج/١٤

ـ البهائي العاملي: المخلاة، بيروت ـ دار المعرفة ـ سنة ١٩٧٩ م.

ـ خير الدين الزركلي : الأعلام، بيروت ـ دار العلم للملايين ـ سنة ١٩٨٤ م.
ـ أبو العلاء المعري: رسالة الغفران، بيروت ـ المكتبة الثقافية ـ.
ـ أبو إسحاق القيرواني : زهر الآداب وثمر الألباب، بيروت ـ دار الجيل ـ سنة ١٩٧٢ م.
ـ ابن منظور: لسان العرب، بيروت ـ دار صادر ـ.
ـ كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ـ ترجمة د. عبد الحليم النجار، ـ دار المعارف بمصر سنة ١٩٦١ م.
ـ د. مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، بيروت ـ دار العلم للملايين ـ سنة ١٩٨٠ م.
ـ د. شوقي ضيف: العصر العباسي الأول ـ دار المعارف بمصر ـ.
ـ ديوان ديك الجن الحمصي : تحقيق: د. أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري ـ بيروت ـ دار الثقافة سنة ١٩٨١ م.

محتوى البحث

لا شكَّ أنّ القارىء العربيّ بحاجةٍ ماسّةٍ إلى الاطّلاع على تراثه الفكريّ العظيم المتمثّل بالأدب والتاريخ والفلسفة والفقه وعلم الكلام وغيرِ ذلك من ميادين الثقافة والمعرفة.

وبما أن تحصيل هذه المعرفة الموسوعية المتكاملة لا يكادُ يُتاحُ إلاّ لأفراد قلائل من ذوي العقول المتميِّزة والبصائر المتوقّدة، كان لا بدَّ لنا من تقديم هذا التراث بشكلٍ مختصرٍ وجامعٍ في الوقت نفسِهِ، بحيث يوافق هذا الإطارُ المقتَرَحُ أكثريةَ القرّاء العرب، وخاصة طلابَ المراحل الثانوية والجامعية. فكانت هذه السلسلةُ عن أعلام الأدب من نثر وشعر، تولّى كتابتها مجموعةٌ من الاختصاصيين الذين تَحرّوا فيها السلاسةَ في الأسلوب والعمقَ في التحليل والاختصارَ في المعلومات، بما يحقّق الهدفَ المنشودَ من إصدارها.

كما نشير إلى أننا - بالإضافة إلى هذه السلسلة التي بين يديك عن أعلام الأدباء والشعراء - أصدرنا، وسنصدر تباعاً إن شاء الله مجموعاتٍ أخرى عن أعلام الفكر العربي والغربي في مختلف الميادين المعرفية، بنفس الأسلوب والمنهج اللذين اتبعناهما في إصدار هذه السلسلة. والله من وراء القصد.